الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي العقيد آكلي محنـــد أولحاج بالبويرة

معهد اللغات والأدب العربي

قسم اللغة العربية وآدابها

التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة في القرآن الكريم

"سورة الكهف أنموذجا"

مذّكرة تخـــرج لنيل شهادة ليسانس

إعداد الطالبتين:

1- نادية زرقان.

2- مريم زكريني.

إشراف الأستاذ:

بوجمل حمـزة

السنة الجامعية: 2010– 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

" وقل ربي زدني علما "

ربي زدني علما وعلمني من لدنك علما وهبني محبتك ومعرفتك ورضاك وعملا بالعلم الذي يرضيك يا ربي يا عالم يا حكيم يا رب العالمين لا تجعلني وذريتي وأهلي وإخواني من الجاهلين

واجعلنا من العلماء العالمين العارفين

آمـــــــين

www.sunnah.info

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي ودرب عملي

إلى من أمدني بكل شيء في هذه الحياة فتح لي باب المستقبل أبي الغالي

إلى بلسم الزمان وشمعة دربي التي من تحت قدميها لنا الجنان أمي الحبيبة

إلى أحن قلب في الوجود خالي رابح

إلى إخوتي سمير ، يحي ، بلهيلول بوعلام

إلى أخواتي: آسيا، حفيظة

إلى فاطمة الزهراء وشيماء

إلى عمي العزيز يوسف

إلى عماتي وخالاتي

إلى رفيقة الدرب وشريكتي في العمل مريم

إلى كل من يدفعني شوقي لأراهم صليحة

حميدة، فضيلة، صباح، مريم، سعيدة ، نادية

نادية

اهـــداء

إلى نبع الحنان وبر الأمان أمي الحبيبة

إلى بحر العطاء وبلسم الجراح أبي الغالي

إلى إخوتي : مولود، مناد، يوسف، موسى، عقبة

إلى أخواتي: رزيقة، رقية

إلى خالي الغالي رابح

إلى سكرة العائلة أنفال

إلى بنات أعمامي: نعيمة، كريمة، حبيبة، آية، سعاد، إيمان....

إلى من علمتني الصدق والوفاء صليحة وعائلتها وخاصة خزة

إلى من علمتني أن الأمل شعار الحياة ناوية

إلى من علمتني أن الثبات سر كل فتاة فضيلة

إلى من فاقت كل التوقعات صباح

إلى سمرة وزوجها.

إلى نوال التي ساعدتني كثيرا

إلى كل من يعرفني

إلى من علمني الحب والعطاء،وان الدنيا عمل واجتهاد

إلى من اسكنته روحي فكان بلسما لجروحي

مريم

مقدمـــــــة:

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وصلي اللهم وسلم وبارك على نبيك محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

إن القرآن الكريم معجزة من الله سبحانه وتعالى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين كامل الفصاحة والبلاغة حيث تحدى به العرب فعجزوا على الإتيان بمثله، لذا فهو يبقى معجزة خالدة على مر الأزمان، فأسلوب القرآن خاص وتركيبه مميز ينفرد به عن تعابير اللغة العربية وتعتبر أنماط التوظيف البلاغي وجه من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، وكان الدافع وراء اختيارنا لهذا الموضوع :

أولا: اهتمامنا بدراسة كتاب الله جلّ وعلا الذي يبقى مفتوحا على العديد من الدراسات الأدبية .

ثانيا: إنّ هذه الدراسة تبين سرا من أسرار الإعجاز القرآني، وهذا بعد اقتراح الأستاذ لهذا الموضوع علينا والذي لقيا منّا اهتماما كبيرا حيث تناولنا موضوعنا بدراسة أسلوبية بلاغية على أساس منهج وصفي تحليلي لاستقراء الظاهرة ووصفها وتصنيفها أولا ثم تفسيري لاستنباط وكشف النكت البلاغية الكامنة وراء هذا الاستعمال المعجز للقرآن الكريم، متخذين من سورة الكهف أنموذجا مبينين أنماط التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة في القرآن بصفة عامة وفي سورة الكهف خاصة معالجين الإشكالية التالية:

ما هي أنماط التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة؟

ما هي دلالاتها في القرآن الكريم ؟

باحثين للإجابة على هذه الإشكالية على خطة مكونة من فصلين بعد مدخل تناولنا فيه مفهوم الصيغة وحدودها وعلاقتها بالبنية والميزان الصرفي ، في حين الفصل الأول هو فصل نظري تحت عنوان التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة في القرآن الكريم : كالإدغام والإبدال والحذف والمطابقة.

أما فيما يخص الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي تحت عنوان نماذج تطبيقية لبلاغة الصيغ في سورة الكهف.

ثم تأتي الخاتمة التي تتضمن النتائج المتوصل إليها من هذا البحث، أما عن الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث فإنها تكمن في قلة المراجع الخاصة بهذا الموضوع وكذلك التحرج والخشية في التعامل مع كلام الله من إصدار الأحكام دون تثبت أو القول فيه دون نقل خاصة ونحن في بدايتنا في البحث الأكاديمي.

ومن المراجع المعتمد عليها في هذا البحث "الإعجاز الصرفي في القرآن " لعبد الحميد هنداوي " دلالات الظاهرة الصوتية" لصالح فاضل السامرائي، بالإضافة إلى كتب التفاسير منها كتاب التفسير لابن كثير وجامع الأحكام للقرطبي.

وفي الأخير نشكر الخالق عزّ وجل على توفيقه لنا في عملنا هذا ثم بعد الله نشكر الأستاذ المشرف بوجمل حمزة الذي كان نعم الموجه فله منا كل الاحترام والتقدير ونسأل الله تعالى له الأجر والثواب.

معنى الصيغة:

للصيغة معان عديدة منها، أن الصيغة مصدر فعله (صاغ) فيقال: "صاغ الشيء يصوغه صوغا، وصياغة، وصغته أصوغه صياغة، وصيغته بمعنى سبكته، وفلان حسن الصيغة أي حسن الخلقة"[1]

وجاء في العين أن: "الصياغة، حرفة الصائغ وصاغ يصوغ صوغا، والشيء مصوغ والصيغة سهام من صنعة الرجل"[2]

أما الزبيدي في حديثه عن الصيغة يذكر:"وصاغ الشيء يصوغه صوغا: هيأه على مثال مستقيم، وسبكه عليه، فانصاع ، وهو صواغ وصائغ ويقال هو من صيغة كريمة، أي من أصل كريم، وهو مجاز نقله الزمخشري وابن عباد، وهو صوغ أخيه أي طريده، وصاغ الماء يصوغه صوغا، رسب في الأرض وكذلك صاغ الأدم في الطعام إذ رسب فيه"[3]

ويذكر تمام حسن أن:"الصيغ الصرفية مبان فرعية وأصولها من مباني التقسيم الثلاث: الاسم والصفة والفعل دون غيرها من أقسام الكلام، فلا صيغة للضمير ولا للخوالف في عمومها ولا للظروف ولا للأدوات الأصلية وللأسماء صيغ وللصفات غيرها، وتختلف عن هذين النوعين والصيغة جزء من التحليل الصرفي باعتبارها مبنى صرفيا لا بد من النظر إليها على أنها تلخيص شكلي لجمهرة من علامات لا حصر لها ترد على ألسنة المتكلمين باللغة الفصحى" [4]

وفي هذا الصدد أيضا يقول الأستراباذي: "وأبنية الاسم الأصول ثلاثية ورباعية وخماسية وأبنية الفعل ثلاثية ورباعية ويصف في شرحه : لم يتعرض النحاة الأبنية الحروف لندور تصرفها وكذا الأسماء العريقة البناء كمن وما"[5]

وتفهم من هذا القول بأن العلماء قصروا الصيغة على الأبنية المتصرفة، بحيث لا يدخلون الحروف ولا الأسماء المبنية في الأبنية التي يستخدمونها هنا استخداما مرادفا للصيغ، وذلك لندور تصرفها "فالحروف وما ماثلها بوجه ما لا يدخل في نطاق الصيغ"[6]

ومما سبق نجد أن دلالة الصيغة تنحصر في معان ثلاث هي: الهيئة، المثال الذي ينسج على منواله، الصيغة.

1- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت ، ط1 ،1992، ص، 442.

2- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت، ط1،2003 ص426.

3- تاج العروس من جوهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي ، تح: علي شيري، دار الفكر ، بيروت، ط 1 1994، ص 475.

4- اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، عالم الكتب، القاهرة ط4، 2004، ص 136، 144.

5- شرح شافية ابن الحاجب، ركن الدين الإستراباذي ، تح: عبد المقصود محمد عبد المقصود، المكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، ط1، 2004م، ج1، ص172.

6- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي، دار عالم الكتب العلمية، الأردن، ط1، 2008م، ص17.

ونجد هذه المعاني قد استعملها ابن جني في كتابه تحت عنوان: "باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية" إذ أنه جعل للصيغة ثلاث دلالات وهي الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية وإذا كان كل منها دالا إلا أنها تختلف من حيث القوة والضعف وهذا ما دفعه لكي يعطي ترتيبا لهذه الدلالات ، فبدأ بأقواهن وهي الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية ، ثم المعنوية . ويقول في هذا الباب :"فأقواهن الدلالة اللفظية ، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية، ونذكر من ذلك ما يصح به الغرض فمنه جميع الأفعال، ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة ، ألا ترى الى (قام) ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه، وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وان لم تكن لفظا فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم به، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخل بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة" (1)

ومن خلال هذا الكلام يتضح لنا أن وظيفة الصيغة عند ابن جني تنحصر في ثلاثة جوانب: لفظية، صناعية، معنوية.

وجعل الدلالة اللفظية أقوى الدلالات ثم تليها الدلالة الصناعية فهاتان الدلالتان أقوى من الدلالة المعنوية التي نتوصل إليها بالاستدلال لكونها ليست لها صورة ظاهرة تدل عليها ظاهرة تدل عليها إنما نتوصل إليها بدلالة اللزوم.

ونخلص بذلك إلى أن ثمة أمورا أربعة يمكن أن تحدد ماهية الصيغة وتميزها عن غيرها من المصطلحات وهي كالأتي: [2]

1 -هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها.

2 -كون هذه الهيئة مثالا يحتذي، ويصاغ على هيئته.

3 -كونها متصرفة ودالة على أصل اشتقاق صيغت منه.

4 -كونها دالة على معنى وظيفي تقيده الصيغة أو القالب الصرفي ومن ثم عرّف الباحثون المعاصرون الصيغة باعتبارها قوالب تصاغ فيها الألفاظ، وتحدد بها المعاني الكلية أو المفاهيم العامة، وهي القالب الذي تصاغ الكلمات على قياسه، والمراد بالقالب الصرفي هو الهيئة التي توضع عليها المادة اللغوية وتتحدد هذه الهيئة من خلال: عدد الحروف في الكلمة وترتيبها وضبطها، وأصالتها وزيادتها وإثباتها وحذفها وتعد هذه العناصر هي مكونات القالب الصرفي.[3]

1- الخصائص، ابن جني ، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، لبنان، د ط، ج2، ص327.

2- انظر: الإعجاز الصرفي، ص 13.

3- انظر: المرجع السابق، ص14.

غير أن بعض الدارسين يرون بعموم لفظ الصيغة وشموله لكل كلمة في العربية أيّا كانت، إنّما جاءت على قالب، واحتذى فيها قالب.

يقول صبحي الصالح: "والحق أنّنا إذا استقصينا الكلم العربي، وجدنا كلّ لفظ فيه يرتد إلى قالب حذى على مثاله. إلاّ أن يكون حرفا أو ظرفا بل يرى بعض الباحثين أن الحروف والظروف أشتقت أيضا من صيغ مستعملة جارية، فإن لم ترتد بنفسها إلى قالب أو مثال، فإن أصلها عينه ذو قالب أو مثال" [1]

وقد حسم في هذا تمام حسان إذ قال :"أنّ ما يرجع من هذه المباني إلى أصول اشتقاقية فإنّه يتفرغ إلى المباني فرعية، يضمها المبنى الأكبر وكل مبنى من هذه المباني الفرعية هو قالب تصاغ الكلمات على قياسه يسمى الصيغة الصرفية، ومن هنا رأينا طائفة من الصيغ تقع مباني متفرعة عن المبنى الأكبر هو الاسم، وطائفة تقع فروعا على المبنى الأكبر وهو الصفة وطائفة ثالثة تقع على المبنى الأكبر الثالث هو الفعل أمّا ما لا يرجع إلى أصول اشتقاقية من مباني التقسيم وهو الضمير أو أكثر الخوالف والظرف والأداة مبانيها هي صورها المجردة إذ لا صيغ لها "[2]

وبهذا نصل إلى تحديد أو قصر الصيغة على الأسماء والصفات والأفعال مع إبعاد الضمائر والظروف والخوالف والأدوات بنوعيها الاسمية والفعلية من دائرة الصيغة.

ويضيف هنداوي عبد الحميد أن أقسام الكلم ثلاث: اسم وصفة وفعل دون أن يدخل في الاسم ضمائر وخوالف وظروف مثلما أدخلها فيه الباحثون قديما، فهذه جميعا هي الأدوات سواء كانت من قبيل الأسماء أو الحروف لأنها محصورة في إطار الصيغ، وهي لا يمكن أن نسميها بالكلمات القالبية أي ذات القوالب، فكل كلمة ليس لها قالب تنسج على منواله فهي خارجة عن دائرة الاسم والصفة والفعل.[3]

ولعل ما يتم به تمييز الصيغة وحدودها هو الفرق الموجود بين الصيغة، وغيرها من المصطلحات المشابهة لها والتي شاع التعبير بها عن الصيغة، فهناك من الدارسين القدامى من يخلط بين الصيغة وبعض المصطلحات الأخرى كالبناء والوزن والهيئة ويجعلونها مترادفات، بل نجد ذلك الخلط حتى في الدراسات اللغوية الحديثة.

ولذلك وجب على البحث عن الفروق الموجودة بين الصيغة وغيرها من المصطلحات الأخرى كالبنية والوزن وذلك حتى تتضح حدود الصيغة ويكون هــناك تمييز بين ما يدخل في دائرة الصيغة وما يخرج عنها.

1- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العالم للملايين، بيروت، ط13، 1997، ص 332.

2- اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 133.

3- انظر: الإعجاز الصرفي في القران الكريم، ص 18.

1 -البنيـــــــة:

البنية مشتقة من البناء كما يقول ابن فارس:"بني الباء والنون والياء أصل واحد هو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض: تقول بنيت البناء أبنية، وتسمى مكة البنية، ويقال قوس بنايته وهي التي بنيت على وترها، وذلك أن يكاد وترها ينقطع للصوقه بهما وطيء تقول مكان بانية : باناه ويقال بنية وبنى وبنية ويبني بكسر الباء، كما يقال جزية وجزي ومشية ومشى"[1]

أمّا الزبيدي يقول: "بناه يبنيه بنيا بناء وبنى وبنيانا وبنية وبناية، ويطلق البناء عنده أيضا على المبنى كما يطلق البناء على الجسم."[2]

وذكر الاسترابادي في حديثه عن البنية: "واعلم أن المراد بأبنية الكلم، أوزان الكلم التي يكون لها قبل أن يعمل بها ما يقضيه القياس التصريفي، وبعده أن اقتضى القياس التصريفي تغيّرها عن الأوزان التي كانت لها من الأصل، والمراد بأحوال أبنية الكلم: أحوال تلحق أوزانا من التصغير والنسب والجمع والإمالة والوقف وتخفيف الهمزة والتقاء الساكنتين والابتداء بالساكن والقلب والإبدال والحذف والإدغام إلى غير ذلك".[3]

ويتضح من الأصل التي اشتقت منه الكلمة أنّها مجموعة الأحرف التي تتكون منها أخذا بمعني البناء.

إذن البنية هي مجموع الأحرف التي تتكون منهما الكلمة متماسكة، أي يضم هذه الحروف بعضها لبعض كما يقول ابن فارس.

وبهذا اثبت الفرق الموجود بين كل من الصيغة والبنية، فلقد عرفنا مما سبق أن الصيغة معناها الهيئة الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها، أما البنية فيتضح من خلال التعريف الذي ورد في كتب اللغة والمعاجم، أن الأصل الذي أشتقت منه كلمة البنية يدل على أنها تعني الضم والثبوت لا الهيئة، ويقول عبد الحميد هنداوي " لأنّ البنية تشبه القالب الذي يضم أجزاء ما يصب فيه ويجعله متماسكا لكن الصيغة هي ما يخرج من القالب منظورا فيه إلى الشكل الذي خرج عليه والمعنى الذي يشير إليه."[4]

فالصيغة هي البنية في حركاتها التي تحدد معناها وتمكن من وزنها بأن تجعلها في قالب من قوالب الأبنية، ولو لم يكن ذلك لكانت الكلمة بنية ولم تكن صيغة.

1- مقاييس اللغة، ابن فارس الرازي، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان ط 1، 1999،ج1 ص 157.

2- تاج العروس من جوهر القاموس، ص 44.

3- شرح شافية ابن الحاجب، ج1 ص 168 و 169.

4- الإعجاز الصرفي، ص 20و21

بالإضافة إلى هذا نجد بأنّ هناك فارقا أخر هو الفاصل بين الصيغة والبنية يكمن في: " أنّ الصيغة لابدّ أن تدل على معني وظيفي أو ما سمّاه ابن جني بالمعني الصناعي وهو المعني الذي تقيده هيئتها وقالبها.

أمّا البناء أو البنية كالظرف والضمير والحرف، فهو وإن دلّ على معنى وظيفي فهو إنّما يدل عليه بمادته ولفظه." [1]

ومن هنا فإن كل صيغة هي بنية، ولكن ليس كل بنية صيغة، كما قد نجدهما يجتمعان (البنية والصيغة) في كلمة واحدة مثل: (خالد) إذ نجدها تتكون من مجموعة حروف (خ.ا.ل.د) متماسكة وضم بعضها إلى بعض، فهي بنية، ومن جهة أخرى نقول بأنها صيغة أيضا، إذ أن هذه الكلمة على وزن من أوزان الأسماء وهو وزن فاعل. [2]

وكذلك قد تكون البنية ولا تكون الصيغة كما في الضمائر وأسماء الإشارة والحروف والأسماء الموصولة.

والخلاصة " أن الصيغة منحصرة في الأسماء والأفعال والصفات أما البنية فهي شاملة لباقي مباني التقسيم " [3]

2-الميزان الصرفي:

لمعرفة أحوال أبنية الكلمة لابدّ من معرفة الميزان أو المقياس الذي وضعه علماء العرب " وهو من أحسن ما عرف من مقاييس في ضبط اللغات ويسمي (الوزن) في الكتب القديمة أحيانا (مثالا) فالمثل هي الأوزان " [4]

وهو عند علماء الصرف معيار لفظي مشكل من الحروف: الفاء والعين واللام ليزنوا به الكلمات التي يوظفها التصريف لبيان أبنية الكلمة من حيث عدد حروفها وترتيبها، وكذلك حركاتها وسكناتها، والأصل والزائد منها وما تقدم وتأخر منها . كما أنهم صنفوها إلى ثلاثية ورباعية وخماسية، بيد أن الكلمات الثلاثية أكثر عددا وأوفر استعمالا [5] .

حيث يقول الراجحي:" لما كان أكثر الكلمات العربية يتكون من ثلاثة حروف، فإنهم جعلوا الميزان الصرفي مكونا من ثلاثة أصول هي: (ف.ع.ل) وجعلوا الفاء تقابل الحرف الأوّل والعين تقابل الحرف الثاني، واللام تقابل الحرف الثالث، على أن يكون شكلها على شكل الكلمة الموزونة فتقول: كَتَبَ= فَعَلَ، كَرُمَ= فَعُلَ، كُتُبُ = فُعُلُ.

1- المرجع نفسه، ص21.

2- انظر: الإعجاز الصرفي، ص21.

3- اللغة العربية معناها ومبناها، ص 133.

4- التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار المسيرة، عمان، ط1، 2008، ص19.

5- انظر: علم الصرف بين النظرية والتطبيق، مجدي إبراهيم، نور الإيمان، القاهرة، د ط، 2007، ص 11.

وهكذا يقابل كل حرف بما يقابله في الميزان، ولذلك يسمي الحرف الأوّل فاء الكلمة والثاني عين الكلمة والثالث لام الكلمة " [1]

ولعل السبب وراء اختيار مادة (الفعل) لتكون الحروف الأصلية لمعيار الكلمات دون غيرها، يرجع إلى أن مخارج الحروف الرئيسية ثلاث: الشفتان والحلق واللسان، فأخذ من كل مخرج حرفا، فالفاء تخرج من الشفتين والعين من الحلق واللام من اللسان.

ومن الأسباب كذلك نجد أن مادة (فعل) أقرب إلى ما يكون فيه التغير والاستعمال بكثرة ، كما أنها تشمل جميع الأفعال بالإضافة إلى ذلك جعل الصرفيون أصول الكلمات ثلاثة أحرف (فعل) لكثرة المفردات العربية الثلاثية .[2]

والجدير بالذكر أن هيكل الكلمة يختلف عن هيكل الميزان مثال ذلك في صيغة الأمر مثلا: نجد الفعل ضرب (فَعَلَ) ولكن إذا أخذنا الفعل (وقى) وهو من نفس الباب الذي يندرج فيه الفعل ضرب، ونصوغ من هذا الفعل (وقى) فعل أمر على مثال (إفْعَل) نقول (ق)، وإذا قابلنا الحرف الوحيد الموجود من هذا الفعل بمقابله في الصيغة لوجدنا أنّ الحرف المقابل له هو العين المكسورة (ع)، والسبب في ذلك راجع إلى أنّ صيغته هي من صيغة (أَفْعِل)، وأنّ هذه العين المكسورة تمثل الميزان ولا تمثل الصيغة.[3]

ولقد فرّق تمام حسان بين الصيغة والميزان إذ يقول:"فالتفريق بين الصيغة وهي مبنى صرفي بين الميزان وهو مبنى صوتي تفريق هام جدا له من الأهمية ما يكون منها للتفريق بين علمي الصرف والأصوات وقد يتفق هيكل الصيغة في صورته مع هيكل الميزان فالفعل ضرب صيغته(فَعَلَ) وميزانه(فَعَلَ) أيضا ولكنها يختلفان في فعل الأمر(ق) على أن الصرفين علقوا على أمر اختلاف الصيغة والميزان على النقل والحذف فأبانوا ما يرد من ذلك في الميزان"[4].

وبهذا فإن الصيغة هي مبنى صرفي بينما الميزان فهو مبنى صوتي.

1- التطبيق الصرفي، ص19.

2- انظر: علم الصرف بين النظرية والتطبيق ص11.

3- انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 144 و145.

4- المرجع نفسه ص 145.

الفصل الأول

أنماط التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة

في القران الكريم

إن علم التصريف هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب وينبغي أن تكون مقدّمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب إلا أنه أخّر للطفه ودقته ، فجعل ما قدّم عليه من ذكر العوامل توطئه له، والتصريف ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: جعل الكلمة على صيغ لضروب من المعاني كالتصغير والتكسير والعادة ذكره مع النحو الذي ليس بتصريف.

والآخر: تغيّرها عن أصلها لا لمعنى طارئ عليها وينحصر في النقص والقلب والإبدال والنقل.

والذي يقرأ القرآن الكريم يلفت نظره على المستوى الصوتي مسائل كثيرة لعل أهمها مسألة المتقابلات في الظاهرة الصوتية، ويقصد بها أن هناك ألفاظا ترد على نمط صوتي معين في بعض السياقات وترد على نمط صوتي آخر في سياقات أخرى كأن ترد بإدغام في موضع وبفكه في موضع آخر، أو ترد تامة في سياق، وقد لحقها الحذف في سياق آخر، وكذلك الإبدال وتركه. ولا شك أنّ كل نمط من هذه الأنماط له معان ودلالات بلاغية، وقد اخترنا في بحثنا هذا بعض هذه التغيرات التي تكشف عن بلاغة وإعجاز القرآن الكريم.

المبحث الأول

الإدغام وفك الإدغام

إن ظاهرة الإدغام في اللغة العربية هي ظاهرة صوتية بحتة تحدث نتيجة تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض إذ يؤثر الصوت الذي يكون قويا من ناحية مخرجه في الصوت الذي يليه فيمنحه صفاته كلها أو بعضها.

والإدغام في اللغة هو إدخال الشيء في الشيء فيقال: "دَغَمَ، دغمهم والحر والبرد كمنه وسمع دغما و دغمانا، عشيهم، ودغم الإناء دغما: غطاه، وأدغم الفرس اللجام، أدخله في فيه"[1].

ويذكر سيبويه في حديثه عن الإدغام:"الإدغام إنّما يدخل فيه الأوّل في الآخر، والآخر على حاله ويقلب الأول فيدخل في الأخر حتى يصير هو الأخر في موضوع واحد، نحو قد تركتك ويكون الأخر على حالة ، فإنما شبه هذا بهذا الضرب من الإدغام، فأتبعوا الأخر كما اتبعوه في الإدغام"[2].

فالإدغام أنك تنطق بحرفين من مخرج واحد ودفعة واحدة ، فينطقان حرفا مشددا فيهدف بذلك الإدغام إلى التخفيف، حيث يقول ابن جنّي إن الإدغام هو:"هو تقريب الصوت من الصوت ألا ترى أنك في (قطّع) ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى لبا اللسان نبوة واحدة... فكان قربه منه، وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه والحاقة به"[3]

بالإضافة إلى ذلك نجد أن العلماء قسموا الإدغام إلى ثلاثة أقسام، وذلك تبعا للبعد والقرب بين الأصوات من حيث مخارجها وصفاتها وهي:

1 -إدغام المتماثلين : هو أن يكون الحرفان المدغمان متفقين مخرجا وصفة.

2 -إدغام المتجانسين: هو أن يتفق الصوتان مخرجا ويختلفان صفة.

3 -إدغام المتقاربين: وهو أن يتقارب الصوتان مخرجا أو صفة أو مخرجا وصفة[4].

ومن أمثلة إدغام الحرفين المتماثلين في قوله تعالى: ﴿ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ﴾ البقرة60، فلقد وصلت الباء الأولى بالباء الثانية ونطق بهما اللسان دفعة واحدة فالحرفان متماثلان من حيث المخرج، لأن الحرفان شفويان.

1- تاج العروس الزبيدي ، ج16، ص 243.

2- الكتاب سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1982، ج4، ص 104، 105.

3- الخصائص ، ج1، ص495.

4- انظر : الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري ، عادل الهادي حمادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية ، العراق، ط1، 2005، ص 38.

ومن أمثلة إدغام الحرفين المتجانسين قوله عز وجل: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾البقرة 256 فنجد الإدغام هنا في إدغام الدال في التاء . وهما يخرجان من نفس المخرج، ولا يتفقان في جميع الصفات لأن الدال مجهورة بينما التاء مهموسة.

ومن أمثلة إدغام الحرفين المتقاربين قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ الأنفـــال48، فلقد أدغمت الذال في الزاي، فهما متقاربان في المخرج، وهو طرف اللسان مع الثنايا العليا بالنسبة لحرف الذال وطرف اللسان مع الثنايا السفلى في الزاي، كما يشتركان في صفة الجهر والرخاوة والانفتاح.[1]

والإدغام عند القرّاء: إدغام صغير وإدغام كبير.

1- **الإدغام الصغير:** " وفيه يتجاور الصوتان الساكنان دون فاصل من الأصوات اللين، كما هو شائع في معظم اللغات غير المعربة ، وذلك لأن شرط تأثر صوت بآخر، وهو التقاؤها التقاء مباشر سواء أكان هذا الالتقاء في نفس الكلمة أو في كلمتين متجاورتين"[2] إذ نجد أن أبا عمر بن العلاء لم يكن يلتزم في قراءاته النطق بالحركات الإعرابية، إذ كان يسكن أواخر الكلمات وهذا ما يؤدي إلى التقاء الحرف الأخير الساكن من الكلمة الأولى بالحرف الأول من الكلمة اللاحقة الذي يكون ساكنا وإذ تقاربا الحرفان في الصفة أو المخرج يؤدي هذا إلى تأثر أحدهما بالآخر"[3].

بمعنى أن الإدغام الصغير ما كان في الحرفين المتماثلين أولهما ساكن في الأصل مثل ردٌ وشدٌ وأصلهما ردد وشدد، فأول الحرفين في كل من هاتين الكلمتين ساكن وعند النطق نطق بهما دفعة واحدة، وأصبح الحرفان حرفاً واحدًا مشدداً [4]

وفي قوله جلّ وعلا:﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾البقرة 38.

نجد في قراءة الجحدري يقرأ "هدى" بقلب الألف ياء وإدغامها في ياء المتكلم. [5]

---

1 – انظر: أساسيات علم الصرف، عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ط2، 1999، ج3، ص111–112.

2 – أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات ، رمضان عبد الله، مكتبة بستان المعرفة الإسكندرية، ط 1 ص 141.

3– انظر: أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، ص 142.

4– انظر: أساسيات علم الصرف ، ص 112–113.

5 – انظر اللهجات العربية والقراءات القرانية، عبده الراجحي، دار المسيرة، ط1، 2008، ص 134–135.

2- **الإدغام الكبير** :"هو ما كان فيه أول الحرفين متحركا مثل شدّ فهو على وزن فَعَّلَ وعند الإدغام سكن الحرف الأول فصار شدْدَ ، ثم جعل في الرسم الإملائي حرفاً واحداً مشدداً ومن الإدغام الكبير عند عمر بن أبي العلاء قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾البقرة 200.

فقد قرأ بإدغام الكاف الأولى في الثانية هكذا "مناسكّم" ومثله قوله تعالى ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ المدثر42، فقد أدغمت الكاف الأولى في الثانية فصارت الكلمة ما سلكّم" [1]

ونجد قوله تعالى﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة 222.

قرأ الجحدري "يطهّرن" بفتح الطاء والهاء مع تشديدها، والأصل يتطهرن فسّكن التاء وقبلها طاء وأدغمها.[2]

وفي قوله تعالى:﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة284.

نجد بأن هذه الآية وردت في قراءة الجحدري حيث قرأ "فيغفرّ لمن" بإدغام الراء في الـــلام.[3]

من خلال أنواع الإدغام نجد بأن له حالات مختلفة فإما أن يكون واجبا أو جائزا أو ممتنعا (فك الإدغام).

1- الإدغام الواجب:

يجب إدغام الحرفين المتماثلين إذا كانا في كلمة واحدة مثل: ردٌ فأصل الفعل ردد سكنت الدال الأولى ثم وصلت الأولى بالثانية وشكلت لنا حرفاً واحداً، كذلك الأمر في: ملٌ والأصل في الفعل ملْلَ وجب أصله وحبب ونقول سكتٌ بإدغام تاء الفعل الساكنة في تاء الضمير المتحركة.[4]

1- أساسيات علم الصرف، ص 113.

2- انظر، التبيان في إعراب القرآن، أبي البقاء عبد الله بن الحسن العبكري شركة القدس، القاهرة، ط 1، 2008 ج1، ص155.

3- الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري، ص 43.

4- انظر، أساسيات علم الصرف، ص 114.

وكما يكون الإدغام في كلمتين مثل "استغفر ربك ، فقد أدغمت الراء الساكنة في آخر الكلمة الأولى وفي الراء المفتوحة في أول الكلمة الثانية ونطق بها دفعة واحدة مثله أن تقول قل له قولا كريما، فتدغم اللام في "قل" وفي لام "له" وتجعل اللسان ينطق بهما دفعة واحدة وفي قوله عز وجل :﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾الإسراء 23.

فلقد أدغمت لام "تقل" في لام "لهما" وكذلك لام "قل" في لام لهما [1]

2- الإدغام الجائـــــز:

لقد وردت الألفاظ في القران الكريم حينا بالإدغام وبفكه حينا آخر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾الحشر4.

وهنا نجد أن صيغة "يشاقّ" أدغمت وفي موضع آخر نجد قوله تعالى:﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء 115، وكذلك قوله عز وجل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾الأنفال13.

ففي آية الحشر دل الإدغام على قوة الحركة في حرف القاف في قوله "يشاقّ" حيث لا تصح أن تلقى اسما بعدها إلا ساكنا فلا يقوم مقامه متحرك، أما الموضعان الآخران، فليس على هذا الوصف إذ القاف في قوله:"ومن يشاقق الله ورسوله" يمكن أن تلاقي ما يتصل بها متحركا وهو رسوله، فالتقدير هو "ومن يشاقق رسول الله" [2]

بالإضافة إلى هذا نجد بأن فك إدغام كلمة "يشاقّ" إلى "يشاقق" "فإدغام في أية الحشر يوحي بالإخفاء والمساترة، وفي فك الإدغام في آيتي النساء والأنفال ويوحي بالظهور والمجاهرة في فعل المشاققة فسياق الحال في آية الحشر ناسبه الإدغام، وسياق الحال في كل من النساء والأنفال ناسبه فك الإدغام"[3]

وكذلك من حالات جواز الإدغام وفكه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة 217.

1- المرجع نفسه، ص114.

2- انظر، دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد قاسم بن دومي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1 2006، ص 120-121.

3- دلالات الظاهرة الصوتية، ص170.

ففي الآية الأولى أدغمت كلمة "يرتدّ" بينما فك إدغامها في الآية الثانية.

بالإضافة إلى ذلك نجد الإدغام في كلمة "المصدّقين" في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد 18.

كما وردت في آية أخرى غير مدغمة في قوله جلّ وعلا:﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ يوسف 88، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب35.

3- الإدغام الممتنع (فك الإدغام):

وهناك حـــــالات يجب فك الإدغام فيها منها:

- أن تكون الكلمة على صيغة أفعل به مثل أحبب به وأشد بعزيمته فلا يجوز الإدغام في كليهما.[1]
- أن يكون أول المثلين مدغما فيه حرف قبله مثل جسّس فيمنع إدغام السين الثانية التي أدغم فيها ما قبلها بالسين الثانية، بحيث لا يلتقي الساكنان.
- أن يكون الحرفان المتماثلان في اسم على وزن "فَعَلَ" مثل: طَلَلَ أو "فُعل" مثل : ذلل جمع ذلـــــول.
- أن يكون الحرفان المتماثلان في بناء ملحق مثل: قردد المكان الغليظ الرفيع- فلا تدغم هذه الكلمة لأن حرف الدال الثاني زائد لإلحاق
- أن يكون المثلان في فعل التعجب مثل أحبب بأيام الدراسة.
- أن يكون المثلان في فعل ماض اتصل به ضمير رفع متحرك مثل صددنا، عددنا.[2]

مما سبق نرى أن الإدغام تعتريه أحكام ثلاثة، وهي: الوجوب والجواز والمنع ولكل حكم شروط وضوابط كما رأينا.

1- انظر، التطبيق الصرفي، ص 173.

2- انظر، أساسيات علم الصرف، ج3، ص 115 و118.

المبحث الثاني

الحذف والإثبات

الحذف من الظواهر اللغوية المشهورة في النحو العربي وهو كذلك من المواضيع التي أعطاها رواد اللغة والمحدثون في الدرس اللغوي أهمية وأضفوا عليها نوعا من التفصيل ليسهل على المتلقي عملية الاستيعاب، حيث يميل الناطقون إلى حذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو حذف ما قد يمكن للسامع فهمه، اعتماد على قرائن حالية أو عقلية.

ولقد ورد الحذف بمعنى:"حذف، حذف ذنب فرسه، إذ قطع فرسه، وفرس محذوف الذنب... ويضيف حذف الصانع شيء سواه تسوية حسنه، كأن حذف كل ما يجب حذفه حتى خلا من كل عيب وتهذب ومنه فلان محذف الكلام".[1]

ويرى النحاة أن الأصل في الكلام الذكر ولا يحذف منه شيء إلا بدليل [2] سواء أكان هذا الدليل معنويا أو صناعيا، أي تدل عليه قرنية لفظية، وتدل عليه قرنية المقام.

ويطلق الحذف على كل ما أصله أن يذكر ولم يذكر كحذف المبتدأ أو الخبر، وحذف عامل المفعول به والمفعول المطلق، أو حذف المفعول به وكان من المفروض ذكره كأن يعود على اسم موصول مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾الحج 62. وقوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾لقمان 30.

فنجد في الآية الأولى ذكر ضمير الفصل بينما حذف في الآية الثانية. [3] وجاء في دلائل الإعجاز:"فاعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين... ينهي ويضرب وينفعل المعنى في جميع ذلك هو إثبات المعنى نفسه الشيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرض لحديث المفعول".[4]

1- أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1 ، 2003 ص 162.

2- انظر، الخصائص، ج 2 ، ص 140

3- انظر، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ، الأردن، ط3، ص75و94 .

4- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار اليقين، مصر، ط1، 2001، ص 136.

بالإضافة لهذا نجد بأن "حذف حرف من كلمة قرآنية أو إتباعه أو تغيير حركته، أمر مقصود في لغة القرآن، وهو ينطوي على حكم باهرة، إذ يأتي هذا الأمر متفقا مع السياق الذي ورد فيه والجو الذي يشيعه، والمعنى الذي يقرره، وهذه ملاحظة مطرده في أسلوب القرآن "[1]

ومن يتمعن في لغة القرآن يلفت انتباه ه من بين الظواهر الصوتية ظاهرة الحذف والذكر، التي وردت على شكل متقابلات لفظية في أحوال الحذف أحيانا والإثبات أحيانا أخرى.

ومن أمثلة حذف حرف في القرآن الكريم نجد قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ الشعراء222، وفي قوله عز وجل :﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ القدر4، ونجد في موضع آخر إثبات حرف التاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت30.

ففي آيتّي الشعراء والقدر حذفت تاء الفعل تنزل فجاء على صيغة "تفعّل" بالحذف والتضعيف، بينما ورد في آية فصلت بإثبات حرف التاء فجاء على صيغة "تتفعل" .
فإثبات التاء في "تتنزل" تزيد في النطق على لفظ تنزل بمقطع واحد وهو مقطع التاء الذي جاء في وسط الفعل وهذه الزيادة في المبنى لها قيمة دلالية وذلك بالنظر إلى القاعدة المشهورة كل زيادة في المبنى وزيادة في المعنى"[2]

والمقصود من إثبات حرف التاء في آية فصلت على أن الملائكة تنزل على المؤمنين حين الموت، لتبشرهم بالجنة، وهذا يحدث كل سنة في كل لحظة، بحيث كلما يموت مؤمن بالله تتنزل الملائكة تبشره بالجنة فأثبتت كل حروف الفعل ولم يحذف من صيغته شيء، بينما في آية الشعراء فتنزل فيها أقل لأنه ليس كل الكفرة تتنزل عليهم الشياطين فهي تنزل على قسم منهم كالكهنة، فهؤلاء الكفرة ليسوا كثيرين بل هم قلة فاقتطع من الحدث فقال تنزل بحذف التاء وكذلك ما في آية سورة القدر، فللملائكة تنزل في ليلة واحدة في كل سنة وعلى أشخاص معينين.[3]

كما نجد قوله جل جلاله :﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء 62.

1- دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم ،ص198

2- انظر، المرجع نفسه، ص 198- 200.

3- انظر، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك، القاهرة، ط 2، 2006 ص10-11.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ المنافقون 10.

فنجد أن الفعل "أخرتن" حذف من أخره الياء في حين أثبتت الياء في الآية الثانية في قوله "أخرتني" فأثبتت ياء الفعل فلتأخير في الآية الأولى يكون لا بالتأخير الجسمي وفي الآية الثانية تأخير جسمي في الدنيا الظاهرة.[1]

وكذلك من نماذج حذف حرف في آخر الكلمة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ الأحزاب 66-67،﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ الأحزاب 4، فلقد أثبتت الألف في "الرسولا" و"السبيلا" رغم أن ا لقياس لا يقتضي المد ولم تثبت في "السبيل" في أول سورة الأحزاب والاختلاف بينهما أن الآية الأولى والثانية أثبتت الألف فيهما، لأن الحديث فيهما عن قوم أهل النار وهم يصطرخون ويمددون أصواتهم بالبكاء، فلمقام هنا هو مقام صراخ، ومد الصوت يناسب المد في حين الآية الأخيرة وإنما هي قول الله سبحانه وتعالى مقررا حقيقة عقلية معلومة.[2]

ونجد كذلك قوله تعالى﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ القمر16، وقوله عز وجل:

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ النمل 36.

فأثبت الياء في آخر كلمة "عذابي" لأنه فعل ملكوتي، وحذفت الياء في الآية في الآية الثانية "أتان" لاعتبار ما أتاه الله من العلم والنبوة فهو المؤتي الملكوتي من قبل الآخر، وفي ضمنه الجسمان للدنيا لأنه فان، والأول ثابت.[3]

بالإضافة إلى هذا نجد في قوله تعالى:﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ الزمر10، وقوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّىَٰ فَٱعْبُدُونِ﴾ العنكبوت 56.

فنجد هنا حذف الفعل "قل" في آية العنكبوت بينما أثبت في آية الزمر، فسياق آية الزمر مبني على التبليغ بينما في آية العنكبوت مبني على ذكر النفس.[4]

1- انظر، البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي، دار التراث، القاهرة، د ط، ج1، ص 400.

2- انظر، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 33-34.

3- انظر، البرهان في علوم القرآن، ص 399.

4- انظر، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص32.

ومن مواضيع حذف الفعل وذكره كذلك قوله جل جلاله:﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا﴾ المعارج 5، وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾المزمل10.

وإذا فلماذا يقول النحاة أن هذا محذوف الفعل وجوبا، وهو كما نرى جائز فالحقيقة أنه يمكن أن يقال "صبرا جميلا" كما يقال "اصبر صبرا جميلا، فيجوز حذف الفعل، فصبرا مصدر اصبر فهو فعل والمصدر أثبت من الفعل" [1]

ومن أمثلة حذف الجملة نذكر قوله تعالى:﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ الأنعام 35، وقوله كذلك:﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾ النحل 9، نجد في الآية الأولى حذفت كلمة يجمعوهم لأن التقدير فيها هو "لوشاء الله أن يجمعهم لجمعهم" وحذفت في الآية الثانية "أن يهدي" حيث نجد التقدير "لو شاء الله أن يهديكم أجمعين لهداكم إلا أن البلاغة، تستدعي أن يكون محذوفا" [2]

ونخلص من كل ما قلناه أن الحذف والإثبات قد يكونان في حرف أو كلمة أو أكثر.

1- معاني النحو ، فاضل السامرائي ، دار الفكر، الأردن، ط3،ج2، ص143 .

2- انظر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني،ص143.

المبحث الثالث

الإبدال وترك الإبدال

الإبدال هو وضع حرف مكان حرف آخر دون أن يشترط فيه أن يكون فيه حرف علة أو غيره ويخضع الإبدال للقياس كما يخضع للسماع. [1] وفي هذا الصدد يقول ابن جني: «الإبدال على غير قياس، فقولهم قريت أخطيت وتوضيت».[2]

فالأصل أن تقول قرأت وتوضأت وأخطأت بثبوت الهمزة فأبدلت الهمزة ياءا من غير قياس فقلنا قريت ونحوه.

وقرأ عاصم في رواية حفص قوله تعالى :(أن تبوّيا)التحريم فقرأت بالياء المبدلة عن الهمزة وهذا تسهيل غير قياسي.[3]

وقد استعمل القرآن الكريم المفردة أحيانا مبدلة وأحيانا أخرى غير مبدلة.

ويكون الإبدال واجبا أو جائزا ومن حالات الجواز نذكر قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ الأعراف 94، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ الأنعام 42.

فأصل صيغة يضرّعون من الفعل (ضرع) على وزن فعل الذي تضاف له عند تضعيفه على النحو التالي (تضرع) فأدغمت التاء بالضاد فأصبح اللفظ يتضرّعون على وزن (يفعلون) عوضا عن يتضرعون على وزن (يتفعّلون) وذلك تسهيلا للنطق.[4]

بالإضافة إلى ذلك نجد صيغة يتضرعون في آية الأنعام وردت بدون إبدال في حين نجدها في أية الأعراف يضرعون مبدلة و مدغمة وقد ورد في الآية الحالية لفظ (الأمم) بينما في الآية الأولى لفظ (القرية) إذ نجد أن الأمم أكثر من القرية وهذا يدل على تطاول الإرسال على مر التاريخ فكلما استمر الحدث أتى بما هو أطول بناء فقال يتضرعون غير مبدلة أي أن الإرسال موجه إلى الأمم بصفة عامة بينما الإرسال قي الأعراف كان إلى القرية فجاء بما هو أقل من البناء فقال "يضرّعون" مبدلة.[5]

ونجد في قوله جل وعلا ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف 88، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ

1- انظر، التطبيق الصرفي، ص 150.

2- الخصائص، ابن جني، ج 2، ص 384.

3- انظر، المرجع نفسه، ص 385.

4- انظر، دلالات الظاهرة الصوتية، ص 183.

5- انظر، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 39.

ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَتِ وَٱلْقَنِتِينَ وَٱلْقَنِتَتِ وَٱلصَّدِقِينَ وَٱلصَّدِقَتِ وَٱلصَّبِرِينَ وَٱلصَّبِرَٰتِ وَٱلْخَشِعِينَ وَٱلْخَشِعَتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَتِ ﴾ الأحزاب 35.

وقوله ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد 18.

فجاءت صيغة المتصدقين في أية يوسف والأحزاب غير مبدلة في حين وردت في أية الحديد مبدلة مدغمة (المصدقين) فالمتصدقين على وزن" متفعلين" والمصدقين على وزن"مفّعلين" وكلتا الصيغتان جائزتا الاستعمال في اللغة إذ كان الإبدال بالتضعيف دلالة على المبالغة والكثرة.[1]

بالإضافة إلى ذلك نجد دلالة لفظ 'المصّدقين 'في أية الحديد على انه ذكر للمبالغين والصدقات وكذلك إشارة إلى أن لهم أجرا كريما، وفي يوسف ورد لفظ 'المتصدقين دلالة على أن الله عز وجل يجزي كل المتصدقين سواء المبالغين في الصدقة أو غير ذالك وفي أية الأحزاب جاءت كذالك على الأصل بغير إبدال وهذا للتفضيل في الصفات وتعدادها وهذا يناسب الفك ويشمل كل أصحاب الصدقة.[2]

وفي ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ النساء82.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد 24.

وقوله تعالى:﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنين 68.

وردت صيغة يتدبرون على وزن " تفعلون" أما صيغة يدبروا على وزن يفعلوا ونجد بأن يتدبرون أطول أن يدبروا المقطع واحد وهذه الصيغة تدل على التدرج (تفعلون)أي حدوث شيء على عكس يدبروا (يفعلوا) بالتضعيف الذي أدى إلى المبالغة.[3]

ولقد أجيز استعمال كل منهما في اللغة وهذا ما نجده في القران الكريم إذ أن لكل منهما دلالة بلاغية حسب السياق، فوردت صيغة يتدبرون دلالة على الطول والتأمل والنظر بإمعان إلى القران الكريم أي نظرة شاملة وهي كذلك توحي إلى عدم مضاعفة التدبر وعدم المبالغة فيه أما في صيغة يدبروا فهي تدل على طول التدبر والمبالغة فيه [4].

1- انظر، شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 2005، ص 94.

2- انظر، بلاغة الكلمة، ص 40.

3- انظر، المرجع نفسه، ص 37.

4- انظر، المرجع السابق، ص 42.

ونجد في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ يونس 35.

وقوله جل وعلا: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ﴾يونس108.وقوله:﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ الإسراء 15.

وكذلك قوله عزّ اسمه: ﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ النمل 92.

ومن المعلوم أن جميع صيغ الافتعال المتعلقة بمعنى الاهتداء في القران الكريم قد وردت بترك الإبدال إلا في موضع واحد في قوله :"أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع " فقدت جاءت لفظة يهدّي مبدلة مدغمة على وزن "يفعل" فكان التضعيف في وزن يفعل دلالة على المبالغة فصيغة يهدي ابلغ من صيغة يهتدي في الاتصاف بالحدث [1].

ولفظ يهدي متمكنة في سياقها لأنها في مقام نفي الاعتداء ع ن الأصنام [2]، بمعنى أن الشخص المراد لا يهتدي بنفسه بينما في لفظ يهتدي فالشخص يهتدي بنفسه بدون وجود شخص يهديه.

وقد استعملت كلمة في موضع في القران بحرف وفي موضع آخر مبدلة وذلك نحو قوله:﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾آل عمران 96–97.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ الفتح 24.

فقال في أية آل عمران "بكة "بينما في أية الفتح "مكة"، والسبب في ذلك راجع إلى إيراد الباء في الآية الأولى لأنها في سياق الحج (لله على الناس حج البيت) فجاءت بلفظ بكه من (البك) الدال على الزحام الموجود في الحج فسميت بكة لأنه مكان يزدحم فيه الحجاج وليس السياق نفسه في الآية الثانية فجاء باسم مشهور وهو مكة بالميم فأبدلت الباء ميما حسب المقام.[3]

1– انظر، دلالات الظاهرة الصوتية، ص 190. وبلاغة الكلمة ، ص 38.

2– انظر، دلالات الظاهرة الصوتية، ص191.

3– انظر، بلاغة الكلمة، ص51–52.

ومن ذلك أيضا إبدال السين صادا في قوله تعالى ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأعراف 69.

وقوله تعالى:﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾البقرة 247.

فالبسط في أية البقرة مطلق عام لا يخص شيئا دون شيء وفي غيرها مقيد، فالبسط المطلق أقوى من البسط المقيد، إذ يحتمل البسط في الرزق والنفس والملك وغيرها.

المبحث الرابع

المطابقة والعدول عنها

جاء في تاج العروس طابقه مطابقة طباقا وافقه وساواه، والطبق هو وجه الأرض وطبق بمعنى الطبق الذي يؤكل فيه، والطبق من كل شيء ما ساواه والجمع منه أطباق وطبق الشيء تطبيقا بمعنى عمّ [1].

وذكر الخليل: "الطبق: كل غطاء لازم ويقال:أطبقت الحقة وشبهها...وطابقت بين الشيئين:جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما فيسمى هذا المطابق"[2].

أما إذا تحدثنا عن المعنى الاصطلاحي للمطابقة يبدو لنا أنّ هناك علاقة بين المعنى اللغوي والحد الاصطلاحي، والنحويون القدامى لم يضعوا تعريفا محددا بل ذهبوا يسوقون المثال المصوغ مرة والشاهد النحوي مرة أخرى لظاهرة المطابقة "[3]

وقد نوه بعض النحويين المحدثين على أن القدامى جاء حديثهم عن المطابقة مشتتا، وهذا ما أكده الدكتور تمام حسان حين يرى أنّ حديث القدامى عن المطابقة جاء متناثرا في أبواب النحو غير مقصود بل جاء فقط لحديثهم عن أحكام إعرابية [4] إذ يقول "إن المطابقة توثيق الصلة بين أجزاء التركيب التي تتطلبها، من دونها تفكك العرى وتصبح الكلمات المتراصة منعزلا بعضها عن بعض ويصبح المعنى عسير المنال".[5]

ومن نماذج المطابقة في القران الكريم قوله جلّ جلاله: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ الزلزلة1 فإلحاق التاء بالفعل زلزل دليل على تأنيث المسند إليه وهو الأرض فحدث تطابق بين الفعل ومسنده وكذلك في قوله تعالى:﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ الطور 14، فدل اسم الإشارة المؤنث (هذه) على أن المشار إليه مؤنث فتوافق معه في التأنيث والإفراد كذلك فهذا هو معنى المطابقة.[6]

أما العدول عن المطابقة فهو بخلاف ما قلناه عن المطابقة إذ يعرف العدول في اللغة على أنه مصدر قياسي للفعل "عدل" ومن ذلك قولهم "عدل عن الطريق إذ حاد وجار، وعدل

1- انظر، تاج العروس من جواهر القاموس، ج13، ص 282-285.

2- كتاب العين، ج3، ص 36-37.

3- انظر، ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية، حسين عباس الرفايعية، دار جرير، الأردن، ط 1، 2006 ص19.

4- انظر، المرجع نفسه، ص22.

5- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص211.

6- العدول عن المطابقة، ص24-25.

الفحل عن الإبل إذ ترك الضّراب"[1] بمعنى أن العدول في اللغة يحول حول الميل، والانصراف والخروج، والترك فالخروج عن المطابقة وأحكامها يسمى عدولا عن المطابقة.[2]

وهذا ما نحن ما بصدد الحديث عنه، إذ أننا نجد القران الكريم يستعمل في كثير من المواضع صيغا وفي مواضع أخرى يعدل عن هذه الصيغ، كالعدول في المصادر في قوله عز وجل: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ النبأ 28، فنجد العدول عن المصدر "تكذيبا "وذلك راجع للإيقاع وأغلب ما يكون العدول للمبالغة، وكذلك في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ النبأ 55، فقال كذابا على وزن فعّال للمبالغة، فذلك من حسن الجزاء للمتقين الداعين الله الذين قوبلو ا في دنياهم بالكذب فعصمهم الله من الكذب واللغو في الآخرة [3].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارًا﴾ نوح7، فعدل عن المصدر"إنباتا"إلى "نباتا" وقد علل كثير من المفسرين على أن الإخبار في "أنبتكم" أنه منه معنى الإنشاء فكان الأولى في العدول إلى اسم المصدر "نباتا " [4] "فإنبات إنما ينظر فيه إلى صنع الله عز وجل وهو خفي فعدلت الآية عنه إلى ما هو ظاهر وهو النبات حيث تتجلى فيه مظاهر القدرة والإبداع"[5].

ومن أمثلة العدول ما ورد في القراءات القرآنية، مثل من يقرأ آية باسم فاعل و من يقرأها بصيغة مبالغة في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ الحجر86.

فقرأها الجحدري البصري"الخالق" على أنها اسم فاعل على وزن "فاعل" وهناك من قرأها "الخلاق" على أنها صيغة مبالغة على وزن "فعّال" وحجتهم في ذلك لكثرة مخلوقات الله فهي على وزن فعال والتي تدل على كثرة لا سواها.[6]

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ البقـرة 145، فعدلت الآية عن التعبير بصيغة الفعل التي عبر ت بها في حق أهل الكتاب إلى صيغة الاسم في حق الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء التعبير باسم الفاعل منفي

1- تاج العروس، الزبيدي، ص 282 .

2- انظر، ظاهرة العدول عن المطابقة، ص26.

3- انظر، الإعجاز الصرفي، عبد الحميد هنداوي، ص170.

4- انظر، المرجع نفسه، ص173.

5- المرجع نفسه ، ص173.

6- انظر،الظواهر الصوتية الصرفية النحوية في قراءة الجحدري، عادل هادي حمادي، ص110.

لينفي عن النبي عليه الصلاة والسلام الأهلية في الأمر؛ لأن اسم الفاعل يأتي للنسبة ولذلك كان التعبير به منفيا بأدنى احتمال في انتساب النبي صلى الله عليه وسلم لمتابعة الكتاب.[1]

بالإضافة إلى ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ الكافرون 1-05 .

فجاء نفي العبادة عن نفسه لآلهته م أولا باستعمال صيغة المضارع ثم عدل عنه في خطابهم إلى الاسم مكان مقتضى السياق أن يقول"لا اعبد ما تعبدون" ثم عدل عن المضارع في اعتباره عن نفسه مرة أخرى في قوله "ولا أنا عابد ما عبدتم" وهذا العدول راجع إلى شمول الزمان واستيعابه واختلف في دلالتهما هل الأول للحال والثاني للاستقبال أم العكس.[2]

وقوله تعالى:﴿ قَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ هود 41، فقرأها الجحدري"مجريها ومرسيها" وذلك بأن ضم الميم في كل منهما وكسر الراء والسين وإضافة ياء بعدهما فقرأها باسم الفاعل وهناك من قراها بفتح الميم"مجراها مرساها"وحجة من قرأها بضم الميم من أجراها الله (مجر) وأرساها (مرسي) والتقدير هو مجراها ومرساها فهما خبر للمبتدأ المحذوف وهو الضمير "هو" أما من قرأها بفتح الميم فجعلوها مصدرا من "جرى".[3]

وكذلك قوله جل وعلا قالو ا ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴾ يوسف 73، حيث استعمل صيغة اسم الفاعل بدل صيغة الفعل نحو:"ما كنا لنسرق" وذلك لعدم انتسابهم لهذه الصفة أي أن فعل السرقة لا يمكن أن يأتي منهم أبدا.[4]

بالإضافة إلى ذلك قد يكون العدول في اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة ذلك أن لاسم الفاعل صيغا مشهورة هي: فعّال، مِفعال، فعُول، فعِل، فهي أوزان قياسية كما أن هناك أوزان أخرى غير قياسية مثل العدول من صيغة الفاعل إلى صيغة فَعِيل، فَعُول، فِعَال.[5]

مثل قوله: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾القصص 76، فهناك من قرأها على أنها صيغة اسم فاعل "فارح" على وزن "فاعل"

1- انظر، الإعجاز الصرفي في القران الكريم، ص175.

2- انظر، المرجع نفسه، ص178.

3- انظر، الظواهر الصوتية الصرفية النحوية في قراءة الجحدري، ص108-109.

4- انظر، الإعجاز الصرفي، ص179.

5- انظر، مخطوط صيغ المبالغة وطرائقها في القران الكريم، دراسة إحصائية صرفية دلالية، كمال حسن رشيد صالح، كلية الدراسات العليا، فلسطين، د ط، 2005، ص54.

وهناك من قرأها على أنها صفة مشبهة فقد عدل عن صيغة اسم الفاعل إلى صيغة الصفة المشبهة أي العدول من وزن "فاعل "إلى وزن "فعل"، وذلك لأن الصفة المشبهة أقوى وأكثر ثبوتا من اسم الفاعل.[1]

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ آل عمران 17.

وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ غافر03، فعدل عن صيغة فاعل إلى صيغتين أخريين إحداهما:"فعول". كقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ ﴾ الكهف 58.

وعدل كذلك إلى صيغة "فعّال" في قوله سبحانه: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ طه 82.[2]

فما نلاحظه هنا من تنويع في صيغ اسم الفاعل والمبالغة فيها "فغفور" على وزن "فعول" و"غفّار" على وزن " فعّال" ورأينا فيما سبق الأوزان المشهورة القياسية لاسم الفاعل. "إذ نجد بأن التفاوت في صفة الإلهية في"غافر "و"غفور"و"غفار" وهو التنوع الصرفي الذي يتفق مع أحوال الإنسان إذ يكون ظالم و مظلوم و ظلام لنفسه وغيره مصداقا لقوله تعالى:
﴿ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ فاطر32.[3]

بالإضافة إلى اسم الفاعل قد نجد العدول في اسم المفعول نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ص19، حيث عدل عن مقابلة يسبحن فلم يقل الطير "يحشرن"

بل قال: "محشورة" فعدل بذلك إلى اسم المفعول "فالتسبيح يقع على المخلوقات شيئا فشيئا أما الحشر فيقع من الله جملة واحدة بأمر واحد، إذ يقول للشيء كن فيكون، كما أن ذلك يدل على اجتماع الطير لداود عليه السلام في وقت واحد ساعة تسبيحه".[4]

كما نجد في القران الكريم تناوبا لبعض المفردات مع بعض لأسباب سياقية لا يشترط فيها العدول مثل قوله جلّ جلاله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ الشعراء 16.

وكذلك قوله:﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ طه 47.

1- انظر، الظواهر الصوتية الصرفية النحوية في قراءة الجحدري، ص106-107.

2- انظر، مخطوط صيغ المبالغة، ص46.

3- المرجع نفسه، ص46.

4- الإعجاز الصرفي، ص181.

فنجد في آية الشعراء قوله تعالى:﴿إنا رسول﴾ بالمفرد وهو مثنى أما في آية طه قوله: ﴿أنا رسول ربك﴾ بالمثنى عن المثنى، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الزخرف 46. ففي هذه الآية الكريمة أخبر

بالمفرد عن المفرد في قوله "إني رسول". أي إفراد في الضمير والرسول مفرد في أية الشعراء في قوله "أنا رسول"، فالسبب في ذلك أنه ورد في هذه السورة ذكر لهارون عليه السلام مع موسى غير أن القصة مبنية على الوحدة لا التثنية فالرسول المرسل هو موسى عليه السلام بينما في سورة طه نجد التثنية وكذلك في آية الشعراء بتثنية الضمير وإفراد الرسالة بقوله "أنا رسول".[1]

كما ذكر في قوله سبحانه ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ ﴾التوبة 36.

فلما قال "اثنا عشر شهرا" قال منها ولما قال أربعة قال فيهن فاستعمال المفردة "منها" للدلالة على الكثرة والجمع واستعمال فيهن للدلالة على القلة.[2]

وقوله تعالى:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾البقرة 261.

فكان الأصل أن تجمع سبع سنابل جمع قلة كما في قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام "وسبع سنبلات خضر "يوسف43 إلا انه في أية البقرة قد دلت عن القلة وهي المناسبة ليبع وذلك لغرض بلاغي وهذا الغرض إنما هو مناسبة سياق الآيات الدال على الكثرة ومباركة الله لهذه الصدقة، فقد استغرب التمثيل بسنبلة تنبت مائة حبة والمقصود هنا هو التكثير وذكر بركة الله عز وجل والجزاء الواسع فأكمل الآية بقوله تعالى﴿ والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾. فهي زيادة لا تعد فذلك العدد لا مفهوم له.[3]

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف 57.

1- انظر، بلاغة الكلمة، ص88-89.

2- انظر، التعبير القرآني، صالح فاضل السامرائي، دار عمان، عمان،ط4، 2006، ص13-14.

3- انظر، الإعجاز الصرفي، ص136.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾الروم 46.

وقوله:﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾آل عمران 117.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ الأحقاف 24.

وردت صيغة الرياح على وزن فِعّال بينما وردت صيغة الريح على وزن فعِيل، وتدل صيغة "الرياح" كذلك في القران الكريم على الخير والرحمة حيث هي ريح طيبة في حين وردت صيغة "الريح دلالة على الشر والعقوبات فهي تكون بمثابة جزاء وعقاب للناس [1] أما إذا كانت موصوفة "بريح طيبة " فهي لها نفس المعنى مع صيغة "الرياح".

ومن مواضع تناوب بعض الصيغ على بعض التراكيب في قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ النمل 53، كذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ الأعراف 84.

في حين قال عزّ اسمه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ الشورى 28.

وقال عز وجل ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ يوسف 49.

فنجد بأن كلمة المطر تدل على الانتقام والشر في القران بخلاف الغيث التي توحي بالخير والبشرى[2].

و بهذا نخلص إلى أن هناك بعض الصيغ جرى فيها العدول وبعضها الآخر لا يشترط فيـــــــها.

1- انظر، التعبير القرآني، ص14.

2- انظر، المرجع السابق، ص15.

الفصل الثاني

نماذج تطبيقية لبـــــلاغة الصيغ

في سورة الكهف

سورة الكهف مكية، واستثنى بعض المفسرين بعض الآيات من أولها تبدأ من (1–7) والآية 28 ومن (107–110) على أنها مدينة، ولكن لأن الأصل أن السورة المكية، مكية كلها وأن المدنية مدنية كلها،وسميت بسورة الكهف لبيان قصة أصحاب الكهف العجيبة الغريبة فيها في الآيات من (9–26) مما هو دليل حاسم ملموس على قدرة الله وهى سورة من السور الخمس التي تبد أ بـ"الحمد الله "وهو استهلال يوحى بعبودية الإنسان لله تعالى وإقراره بنعمه وفضائله .

أما سبب نزول سورة الكهف هو أنه لما سأل المشركون رسول الله محمدا صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة أشياء: الروح وعن أصحاب الكهف، وعن قصة ذي القرنين، فأجاب الله تعالى عن الروح في آخر سورة الإسراء ثم أجاب في سورة الكهف عن السؤالين الآخرين.

استهلت السورة ببيان وصف القرآن بأنه قيم مستقيم لا اختلاف فيه ولا تناقض في لفظه ومعناه لأنه جاء للتبشير والإنذار وتحدثت السورة عن ثلاثة قصص من روائع القصص وهي:

قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين.

فقصة أصحاب الكهف (9–26) فهي مثال عال ورمز سامٍ وتضحية بالوطن والأهل والأقارب والأصدقاء والمال في سبيل العقيدة.

أما قصة ذي القرنين في الآيات (83–99) فهي عبرة للحكام والسلاطين إذا إن هذا الملك تمكن من السيطرة على العالم ومشرق الأرض، ومغربها وبناء السد العظيم بسبب ما اتصف به من الصدق والتقوى والعدل وتخللت هذه القصة ثلاثة أمثل ة رائعة، أول قصة صاحب الجنتين (32–44)، مثل الحياة والدنيا (45–46) وقصة إبليس وإبائه السجود لأدم (50–59) وختم السورة بموضوعات ثلاثة:

1. إعلان تبديد الكفار وضياع ثمرتها في الآخرة (100–106).
2. تبشير المؤمنين الذين عملوا الصالحات بالنعيم الأبدي(107–108)
3. أن علم الله لا يحده حد ولانهاية (109–110).

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن فضل هذه السورة أنه من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من المسيح الدجال، وفي رواية من آخر سورة الكهف رواهما مسلم، وروي عن أبي الدّراء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ العشر الأواخر عصم من فتنة الدّجال.

المبحـــث الأول

الإدغـــام وفـــك الإدغـــام

من أنماط التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة في سورة الكهف الإدغام وفكّه، فيمكن للصيغة الواحدة أن ترد في موضع مدّغمة وفي موضع آخر غير مدّغمه وهذا من أوجه الإعجاز البلاغي الصرفي في القرآن الكريم.

ومن أمثلة ذلك نذكر قوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ الكهف17.

فجاءت صيغة "تزّاوروا" مدغمة وهي بمعنى تتنحى و"تتزاوروا" بتائين في الأصل فحذفت أحدهما تخفيفاً وهي قراءة الكوفيين والأعمش وطلحة، كما قرأ أبو عمر "تزّاور" بفتح التاء وتشديد الزّاي وأصله كذلك تتزاور إلا أنّه أدغمت التاء في الزّاي بعد قلبها زايًا [1].

كما قرئ بـــ"تزّور" و"تزاور" بوزن تحمرّ (تفعّل) وتحمّار على وزن (تفعّال) وكلتا الصيغتين من الزور وهو الميل، ومنه قولنا زاره بمعنى مال إليه، والميل عن الصدقة هو الزّور[2].

ومنه المراد بصيغة "تزاور" أي أن الله عزّ وجل حفظهم من الشمس فيسر لهم غارًا، إذا طلعت تميل عن كهفهم يمينا وعند غروبها تميل عن كهفهم شمالاً فلا ينالهم حرّها فتفسد أبدانهم [3] فتعطيهم بذلك الشمس اليسر من أشعتها، وقالوا،كان مسَّها لهم بالعشي إصلاحا لأجسادهم، فآواهم الله إلى كهفٍ هذه صفته دون آخر يتأذون فيه بانبساط الشمس عليهم في معظم النهار، وذلك لحفظهم عن تطرق البلاء وتغيير الأبدان والألوان، ولذلك ناسبت صيغة "تزّاور" سياق الآية "فتزاور" كما قلنا الميل لفترة قصيرة عند شروقها وعند غروبها،وحتى لا تهلكهم بحّرها. [4]

---

1 – انظر، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني أبي الفضل شعاب الدين السيد محمود الألوسي دار إحياء التراث العربي، بيروت،د ط،ج15، ص222.

2 – انظر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل جار الله أبو قاسم محمود بن عمر الزمخشري،دار الكتاب العربي،بيروت1407،د ط،ج2 ص707.

3 – انظر، تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن المعلا اللويحق، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2004، ص481.

4 – انظر، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي بيروت، د ط، ج10، ص 468

كما نجد في قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف19.

فوردت صيغة "ورقكم" غير مدغمة فقرئت "بورقكم" بسكون الرّاء والواو مفتوحة أو مكسورة بينما قرأ ابن كثير "بورّقكم" بكسر الرّاء وإدغام القاف في الكاف، وعن ابن محيص أنّه كسر الواو وأسكن الرّاء وأدغمها[1]

بالإضافة إلى ذلك نجد أبا الرّجاء يقرأ "بورقكّم" بكسر الواو وإسكان الرّاء وإدغامها في الكاف كذلك، والورق بمعنى دراهم مضروبة، كما قبل الورق الفضة المضروبة أو غير مضروبة [2] كما يقال الورق بفتح الواو وكسر الرّاء، والورْق بفتح الواو وإسكان الرّاء والورق بكسر الواو وإسكان الرّاء والورق الدّراهم وروى اللؤلئي عن أبي عمر "بورّقكم" مدغما لقرب القاف من الكاف[3].ولعل الله تعالى بعد ذلك أطلعهم على مدة لبثهم لأنّه بعثهم ليتساءلوا بينهم وأخبر أنهم تساءلوا بمبلغ ما عندهم وصار آخر أمرهم الاشتباه، فلا بد أن يكون أخبرهم يقينًا. [4]

فجاءت صيغة "ورقكم" مدغمة لشدة قدم دراهمهم، حيث إنّها كانت تحمل صورة الملك الظالم الذي كان في زمانهم، بالإضافة إلى ذلك وجود هذه النقود في الزمن الذي استيقظوا فيه قد يكون خطرا عليهم.

كما نجد في قوله تعالى ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ الكهف22.

قرأ ابن محيص ثلاثّة بإدغام الثاء في التاء مثل قولك: "ابعثّ تلك" حيث أدغمت الثاء في التاء وحسن ذلك لقرب مخرجهما كونهما حرفين مهموسين، كما قرأ ابن محيص، خمسّة بكسر الخاء والميم وإسكان التاء في السين[5].

1- انظر، الكشاف، ج2، ص710.

2 - انظر روح المعاني، ص229-230.

3 - انظر،إعراب القراءات السبع وعللها،أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن خالوية،الهمداني النحوي الشافعي، تح: عبد الرحمن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1992،1، ج2، ص389.

4 -انظر، تيسير الكريم الرحمن ص482.

5 - انظر، روح المعاني، ج15، ص241.

كما نجد صيغة ثلاثة هي خبر لمبتدأ محذوف بمعنى:"هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم وثامنهم كلبهم" جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم.[1]

والضمير في "سيقولون" يراد به أهل التوراة ومعاصري محمد صلى الله عليه وسلم ذلك لأنهم اختلفوا في عدد أصحاب الكهف، كما قيل المراد بهم النصارى، كما قيل هم إخبار عن اليهود الذين أمروا المشركين لمسألة النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الكهف وجاءت الواو في آخر قوله "وثامنهم كلبهم" للإخبار عن عددهم والفصل في أمرهم،[2] لأنّ اختلاف أهل الكتاب في عدد أصحاب الكهف اختلافا صادرًا عن رجمهم بالغيب وتقوّلهم مالا يعلمون، فمنهم من يقول ثلاثة ورابعهم كلبهم ومنهم من يقول خمسة وسادسهم كلبهم، واتبعها الله عز وجل "رجمًا بالغيب"[3] فقرئت ثلاثة مدغمة لعدم معرفتهم الصحيحة بعدد أصحاب الكهف، في حين لم يدغموا صيغة سبعة وثامنهم، إذ لم يذكر الله تعالى بعد هاتين الصيغتين أنّ هذا رجم بالغيب دلالة على صحة العدد والله أعلم. يقول الله عز وجل في كتابه الكريم ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ الكهف38.

فذكرت "لكنّا" بالإدغام وأصلها "لكن أنا" فحذفت الهمزة مع إبقاء حركتها على نون "لكن" فتلاقت النونان فكان الإدغام.[4]

وجاءت "لكن" في جميع القراءات حرف استدراك وأنا مبتدأ أوّل وهو ضمير الشأن مبتدأ ثاني والله ربي مبتدأ وخبر والجملة خبر ضمير الشأن، ويجوز أن يكون "هو" مبتدأ ثاني والاسم الجليل بدلا منه و"ربي" خبره ويجوز أن يكون "نا" ضمير الجماعة كالتي في خرجنا، وضربنا فجاء الإدغام لالتقاء المثلين.[5]

وروى الكسائي "لكن هو الله" بمعنى لكن الأمر هو لله ربّي فأضمر اسمها فيها، وقرأ الباقون "لكنا" بإثبات الألف، قال الكسائي فيه تقديم وتأخير تقديره "لكن هو الله ربي أنا" فكان حذف الهمزة طلبا للخفة، فأدغمت إحدى النونين في الأخرى، فحذفت ألف أنا في الوصل، وأثبتت في الوقف.[6]

---

1 – انظر، الكشاف، ج2، ص713.

2 – انظر،الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص382.

3 – انظر، تيسير الكريم الرحمن، ص483.

4 – انظر، الكشاف،ج2، ص722.

5 – انظر، روح المعاني، ج15، ص278.

6 – انظر،الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص404، 405.

وبذلك جاءت صيغة "لكنّا" مدغمة ولم يقل "لكن أنا" خوفًا وطاعة لله عز وجل وإجلالا وهي من صفات المؤمن فأقرّ بذلك بربوبية ربّه وإنفراده فيها، والتزامه طاعته وعبادته وأنـــه لا يشرك له أحدًا من المخلوقات[1].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ الكهف76.

وردت صيغة "لدّني" مدغمة وقرأها نافع من لدّني بتخفيف النون، كره اجتماع النونين فحذفت واحدة وقرأ الباقون من "لدني" بتشديد النون لأنّ "لدن" أخرها نون ساكنة وياء الإضافة بكسر ما قبلها، فأضافوا إلى النون نونًا وأدغموا إحداهما في الأخرى وجاءت "من لدّني" [2] ومعنى لدني في الآية "قد بلغت العذر في شأني"[3] أي "بلغت مبلغًا تعذر به في ترك مصاحبتي"[4]

فدل بذلك على قيام الاعتذار بالمرة الواحدة مطلقا وقيام الحجة من المرة الثانية بالقطع، فجاءت صيغة لدّني مشددة دلالة على شدة تجاوز الإتفاق المنعقد بينهما، إذا أنه نبهه مرتين بعدم سؤاله.

ونجد الإدغام كذلك في قوله تعالى قال ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ الكهف95.

قرأ ابن كثير وحده "ما مكنني" بفك الإدغام فقرأ بنونين النون الأولى نون الفعل الأصلية والثانية مع الياء في موضع نصب، فأظهرهما ابن كثير على الأصل.

وقرأ الباقون "ما مكنّي" بإدغام النون وهذا للاختصار والإيجاز[5]،والمراد بمعنى الآية "ما جعلني جعلني ربي مكينا فيه من سعة الملك وقوة السلطان" [6] أي أن ذا القرنين قال لهم ما بسط الله تعالى لي من قدرة الملك أفضل من خرجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان أي برجال والآلة التي أبني بها الردم وهو السد، وقد أيد الله سبحانه وتعالى ذا القرنين في هذه المحاورة إذا أن القوم لو جمعوا له خرجًا لم يعنه أحد ولو كلوه إلى البيان ومساعدته بأنفسهم أحسن به وأسرع في انقضاء هذا العمل، فكان تطوع بخدمة الأبدان أولى وضابط الأمر أنه عمل مال أحد إلا لضرورة تعرض، فيأخذ ذلك المال علنًا لاسرًا وينفق بالعدل لا باستئثار والأخذ برأي الجماعة لا باستبداد بالأمر. [7]

---

1 – انظر، تيسير الكريم الرحمن، ص486.

2 – انظر، إعراب القراءات السبع وعللها، ص207.

3 – القران الكريم،تفسير الطبري، دار الهيثم القاهرة، د ط، ص303.

4 – الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص22.

5 – انظر، إعراب القراءات السبع وعللها، ص419.

6 – القران الكريم، تفسير وبيان، جلال الدين السيوطي دار الهدى، الجزائر، د ط، ص303.

7 – انظر، الجامع لأحكام القرآن، ص60.

المبحـــث الثانـــي

الحـــذف والإثبـــــات

إن سورة الكهف تعد من السور التي وردت فيها مواضع الحذف والإثبات منها إثبات حرف في موضع وحذفه في موضع آخر، وذلك مراعاة لسياقات الآيات المختلفة.

ومن ذلك نذكر في هذه المواضع قوله سبحانه ﴿ قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف78، وقوله ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف82.

لقد ورد اللفظ "تستطع" بإثبات التاء الثانية وهي تاء الإستفعال وورد اللفظ "تسطع" بحذف تاء الاستفعال.[1]

ذلك أن المقام في الآية الأولى هو مقام شرح وإيضاح فلم يحذف من الفعل حرف التاء، أما الآية الأخرى فهي في مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها بكلمة وفارقه، فحذف من الفعل حرف التاء.

ففي الآية الأولى جاء الفعل كامل وهذا ما يحتاج إلى طول النظر والتأمل والتفكير، كما أن فعل تستطيع بإثبات التاء لأنه في مقام يتطلب صبر سيدنا موسى [2] فلم يحذف من الفعل شيء لأن سيدنا موسى كان مثقلا بمخالفات تصرفات الخضر لما هو معلوم، في حين في الآية الثانية حذف من الفعل التاء، فجاء "تسطع" لأن سيدنا موسى تخفف من تلك الأعباء و أدرك أسرار تلك التصرفات.

كما نجد في قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ الكهف97. نجد بأن الفعل "اسطاعوا" حذفت منه تاء الإستفعال في حين أثبتت في "استطاعوا".

كما أن الفرق بين "اسطاعوا" و"استطاعوا" من الحذف لا التقليل من الفعل، فصيغة "استطاعوا" تحتاج إلى جهد لثقب السد، أما صيغة "اسطاعوا" فهي للصعود على ظهره وبتأكيد أن إحداث نقب في السد المصنوع من الحديد والنحاس أشد من الصعود على ظهره، ويستغرق وقت أطول،فحذف من الفعل الذي مدته أقل "اسطاعوا"، وذكر في الحدث الممتد[3].

ومن مواضع حذف الحرف أيضا قوله تعالى﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴾ الكهف24، سياق الكلام في أمور محسوسة والهداية فيه

---

1 – انظر، دلالات الظاهرة الصوتية، ص204.

2 – انظر، بلاغة الكلمة، ص 16–17.

3 – انظر، أسرار البيان في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائـــي، دبي، د ط، 2002، ص07.

ملكوتية، وقد هداه الله في قصة الغار، وهو في العدد ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾التوبة40، حتى خرج بدينه عن قومه بأقرب من طريق أهل الكهف حين خرجوا بدينهم عن قومهم وعدوهم على ما قص الله علينا فيه وهذه الهداية بخلاف ما قال سيدنا موسى﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ القصص22، فإنها هداية السبيل المحسوسة إلى مدين في عالم الملك بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾، وقوله تعالى:﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ الكهف66[1].

وقوله تعالى﴿ ۖ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ الكهف17.

حذفت الياء من الفعل يهدي لأنها جاءت لام الفعل، فحذفت شبيها على المخلص لله الذي قلبه ونهايته وتأمله في الملكوت والآخرة لا في الدنيا[2].

وقال تعالى:﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ ﴾ الإسراء97، في حين قال ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ الأعراف178.

ورد لفظ "المهتدي" بإثبات الياء، وذلك أن لفظ الهداية تتردد في سورة الأعراف أكثر مما ترددت في سورتي الكهف والإسراء مجتمعين، فلمّا زادت ألفاظ الهداية في سورة الأعراف على ما في السورتين زاد لفظ المهتدي على ما في السورتين[3] .

ومثل ذلك قوله تعالى:﴿ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ الكهف39. بحذف الياء، بينما قرأ ابن كثير "إن ترني" في الحالين، وأثبتها الباقون وأبو عمر في الوصل خاصة[4].

وكذلك قوله ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الكهف40، حذفت الياء من "يؤتين" وقوله

تعالى﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ الكهف66، حذفت الياء من "تعلمن".

---

1 – انظر، البرهان في علوم القرآن، ص400.

2 – انظر، المرجع نفسه، ص402.

3 – انظر، التعبير القرآني، ص85.

4– انظر، الكافي في القراءات السبع، أبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص148.

قرأ ابن كثير "أن تِؤتين، أن تعلمني" بالياء في الحالين، وأثبتها نافع وأبو عمر في الوصل خاصة، وحذفهن الباقون في الحالين.[1]

قال سبحانه وتعالى﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ الكهف70 أثبتت الياء في قوله "فلا تسألني" والياء هنا هي ضمير المتكلم لأن هذا السؤال عن حوادث الملك في مقام الشاهد وهذا ما يدل عليه،مثل: خرق السفينة، قتل غلام وإقامة الجدار، بحيث نجد كل سؤال إلا وله جواب.

بينما نجد في قوله تعالى﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ هود46.

حذف ضمير المتكلم "الياء" بحيث علم هذا السؤال غيب ملكوتي بدليل قوله تعالى﴿ما ليس لك به علم﴾ وهذا ما نجده كذلك في قوله تعالى﴿ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة 186 فنجد حذف ضمير المتكلم وهذا دلالة على أن الدعاء من جهة الملكوت.[2]

كما نجد في أية الكهف اشتراط الخضر على سيدنا موسى إذا رافقه أن لا يسأله عن شيء حتى يخبره بنفسه، أما أية هود فهي في سؤال نوح عليه السلام لربه بعدما غرق ابنه قائلا ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾ هود45.

فقال له ربه ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ هود46.

فحذف الياء من أية هود وذكرها في أية الكهف وبالنظر في السياقين،يتضح أن في قصة موسى والخضر كان الخضر عليه السلام يتوقع أن يسأله موسى عن كل عمل يقوم به، مما لا يدرك حكمته، فالقصة كلها تدور حول كل ما يقوم به الخضر واعتراض موسى على ذلك بأسئلته الثلاث في حين أنه لم يكن في قصة نوح إلا سؤال واحد وهو عن شأن ابنه، فاستدعى المقام الإطالة والتفصيل في الكهف، وذكر الياء دون هود.[3]

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ الكهف30.

لم يقل أجرهم بحيث حذف الضمير "هم" فأفاد ذلك أمرين:

- أن هؤلاء المذكورين هم من الذين أحسنوا العمل.
- وأن هنالك من أحسن العمل غيرهم، والله تعالى لا يضيع أجرهم جميعا.

1- انظر،المرجع نفسه، ص147.

2- انظر، البرهان في علوم القرآن، ص399- 400.

3 - انظر، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص26-27.

ومثل قوله سبحانه ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ البقرة98.

لم يقل عدوًا لهم وهذا يدل كذلك على أمرين:

- من كان عدوًا لله فهو من الكافرين.
- والكافرين لا يختصمون بهؤلاء فقط.

وقوله تعالى "الكافرين" دلالة على أن هؤلاء من الكافرين وهو يشملهم ويشمل غيرهم كذلك[1].

ومن مواضع الحذف الإثبات في سورة الكهف كذلك نذكر قوله عز وجل ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ الكهف89.

والمعنى كل سفينة صالحة، لأن خرقها لا يخرجها عن كونها سفينة وهذا الحذف مفهوم من السياق.

وهناك يقتضي تقديره الصناعة النحوية ولا يقتضيه المعنى نحو قوله تعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ الأنعام111.

أي لو ثبت أنا نزلنا ، ونحو "جاؤوا بمدق هل رأيت الذنب قط" أي مقول فيه على أن لا يكون في الحذف ضرر معنوي أو صناعي.[2]

وقوله تعالى﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾الكهف64، فهذا كثير في الفاصلة وفي غيرها، فانظر كيف راعى الفاصلة والمقام في هذا الحذف ولم يغلب جانبا على آخر"[3]

وقوله تعالى﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾ يوسف65. بعدم حذف الياء في "نبغي" ذلك أن الحدث مختلف في الآيتين والسياق يوضح ذلك فقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾الكهف 63-64.

نسيان الحوت ليس هو ما يبغيه موسى على وجه الحقيقة وإنما يبغ الشخص الذي يريد موسى أن يتعلم منه.

---

1 – انظر، أسرار البيان في التعبير القرآني، ص73-74.

2 – انظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها ، ص87.

3- المرجع السابق، ص99.

وأما في سورة يوسف فما يبغونه هو الطعام فهو سبب رحلتهم ففرق الله سبحانه وتعالى بين البغيتين، فلما كان ما في الكهف ليس هو ما يبغونه حذف من الحدث إشارة إلى عدم إرادة هذا الحدث وإنما هو دلالة على موضع يجدون فيه بغيتهم، ولمَّا كان في يوسف هو بغيتهم ذكر الفعل كله ولم يحذف منه شيء.[1]

كما نجد بعض الصيغ في سورة الكهف تكون على وزن من الأوزان ثم تنتقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه الوزن الأول، لأن الألفاظ أدلة على المعنى فإذا زيد في اللفظ زيد في المعنى، فكل زيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى وهذا النوع لا يستعمل إلا في مقام المبالغة[2] ومن ذلك نذكر قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ الكهف36.

وكذلك قوله: ﴿لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ الكهف38، فجاءت صيغة "لأجدنّ" على وزن "لأفعلنّ" بزيادة النون و في ذلك مبالغة إذ أن صاحب الجنتين قال لصاحبه بأن الله سيعطيني خيرا من هاتين الجنتين في الأخرة وهذا زيادة كفر الى كفره، كما أن كلامه كان على وجه الاستهزاء و التهكم.[3]

أما في قوله: ﴿لَّـٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ ﴾ حذفت الألف وأدغمت النون في النون فكان الأصل أن يقول "لكن أنا" إلا أنه حذف وأدغم لأن المؤمن مطيع لأوامر ربه، كما يخشى عذاب الله عز وجلّ وهذا الحرص جعله يكون حريصا حتى في كلامه إذ لم يقل أنا التي يتعوذ بها المؤمن فهو عبد له خالق في حين نجد في الآية الأولى الكافر يكفر وزيد كفره من خلال كلامه .

كما نجد في موضع آخر من نماذج هذه الصيغ قوله تعالى ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ الكهف 49، فجاءت صيغة "ويلتنا" على وزن "فعلتنا" وكان الأصل "ويلنا" على وزن "فعلنا" فزيادة التاء دلالة على شدة العذاب، حيث إن الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وهي مكتوبة فيه، محفوظة لم ينس منها سر ولإعلانية ولا ليل ولا نهار.[4]

فزيادة التاء في صيغة ويلتنا أدت إلى زيادة المعنى أي شدة وعظمة العقاب.

1- انظر، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص21.

2- انظر، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله ابن الأثير الجزري، تح: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998،ج2، ص41.

3 - انظر، تيسير الكريم الرحمان، ص 486.

4 - انظر، المرجع السابق، ص 488 .

المبحث الثالث

المطابقة والعدول عنها

قد تتعاور الصيغ في القرآن الكريم، فتستعمل الصيغة ويعدل بها إلى صيغة أخرى حسب ما يقضيه السياق، ومن أمثلة العدول عن الصيغ ما وردفي سورة الكهف كقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ الكهف01. فعدل إلى الصيغة "الحمد" يدل من الفعل "أحمد" والتقدير "أحمد الله حمدا" فعدل من الفعل إلى الاسم، لأن الاسم يفيد الثبوت والفعل يفيد التجدد والتغيّر والحدوث. (1)

كما أن الله في هذه الآية يحمد نفسه المقدسة، عند فواتح الأمور وخواتمها فهو المحمود على كل حال وله الحمد في الأولى والآخرة، فالله عز وجل حمد نفسه على إنزاله كتابه المقدس على رسوله الكريم فهو أعظم نعمة أنزلها الله على عباده، إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور. (2)

وقوله:﴿ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾، ولم يقل "معوجا"، لأن صيغة "عوجا" دلالة على النفي العوج عن الكتاب العزيز، وإثبات أنه مقيم مستقيم، فنفي العوج يستدعي أن لا يكون في أخباره كذب ولا في أوامره ولا في نواهيه ظلم ولا عبث (3) فهي أكثر دلالة من صيغة"معوج".

كما نجد قوله عز وجل :﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ الكهف 06 ، فعدل صيغة "باخع" عن صيغة "قاتل" وهما متقاربان في المعنى بمعنى لا تأسف عليم ولا تهلك نفسك بحزنك عليهم بل أبلغهم رسالة الله تعالى فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنما يضل عليها، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات، فلقد قال قتادة: قائل نفسك غضبا وحزنا عليهم وقال مجاهد جزعا. (4)

وجاء في قوله سبحانه:﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ الكهف07 ورد الفعل "جعلنا" في صيغة الماضي بينما نجده قد ورد على صيغة المضارع في قوله: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴾ الكهف 08، بحيث في الآية الأولى يخبر تعالى جميع ما على وجه الأرض أنه جعل كل شيء فيها زينة لهذه الدار وفتنة واختبار.

1- انظر، معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمان، الأردن، ط2، 2008، ص5.

2- انظر، تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار التقوى، القاهرة، د ط، 2006، ج3، ص78.

3- انظر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص479.

4- انظر، تفسير القرآن العظيم، ص79.

لهذا جاء الفعل في الماضي، بينما يخبر الله تعالى بأنه سيجعل كل شيء على الأرض، خرابا ودمارا وتذهب زينة هذه الدار.[1]

وقوله جلّ وعلا:﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾الكهف 18 فقد وردت صيغة باسط وهي اسم فاعل بدلا من الفعل " يبسط " لأن أحدا لا يشك في امتناع الفعل في الآية، ولو قلنا كلبهم يبسط ذراعيه لا يؤدي الغرض وذلك لأن الفعل يتطلب مزاولة وتجدد الصفة بينما يتطلب الاسم ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك تجدد ومزاولة. [2] بحيث أن الكلب الذي كان مع أصحاب الكهف أصابه ما أصابهم من النوم وقت حراسته، فكان باسطا ذراعيه بالوصيد أمام الباب، فهذا حفظهم من الأرض، وأما حفظهم من الناس فأخبر أنه حماهم بالرعب، الذي نشره الله عليهم، فلو رآهم أحد لشعر بالرعب ولفرّ منهم وهذا الذي أوجب أن يبقوا كل هذه المدة الطويلة ولم يجدهم أحد رغم قربهم من المدينة.[3]

وفي قوله :﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴾ الكهف 19، فجاءت صيغة "ليتلطّف" بمعنى ليتكلّف اللطف في المعاملة حتى لا تحصل مشادة أو خصومة تؤدي إلى كشف حالهم.[4]

كما نجد فيها حث على التحرر والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين واللجوء إلى الستر والكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين، بالإضافة إلى شدة رغبة الفتية في الدين وتجنبهم كل الفتن في دينهم، وتركهم أوطانهم في سبيل الله، وهذه طريقة المؤمنين المتقدمين والمتأخرين،[5] فلم يقل الله عز وجل ليستخبر أو ليستعلم بل قال " ليتلطف" وذلك لمناسبتها سياق الآية، الذي يتطلب الاستخفاء حتى لا يكشف أمرهم.

بالإضافة إلى قوله تعالى:﴿ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾ الكهف 29.

1 – انظر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 480.

2 – انظر، معاني الأبنية في العربية، ص 10.

3 – انظر، تيسير الكريم الرحمن، ص 482.

4 – انظر، القرآن الكريم تفسير وبيان، ص 295.

5 – انظر، تيسير الكريم الرحمن، ص 482.

فجاء الفعل "يستغيثوا" على وزن " يستفعل " ويغاثوا على وزن " يفاعل " وهما صيغتان مختلفتان لنفس الفعل، وذلك لاختلاف دلالتها البلاغية فقوله تعالى ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ ﴾ أن أهل النار يطلبون الشراب، ليطفئ ما نزل بهم من ضمأ ثم أتى الله عز وجل بالفعل في صيغة أخرى يقول تعالى:﴿ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾ فكانت أغاثتهم بماء جهنم وهو ماء أسود كالرصاص المذاب وهو غليظ حار كعكر الزيت من شدة حرارته﴿ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ فكيف بالأمعاء والبطون إذ أرادوا شرابا يطفئ العطش عنهم ويدفع بعض العذاب فكانت الإجابة أن الله عز وجل أغاثهم بشراب النار مما زاد في عذابهم.[1]

ونجد في قوله جلّ جلاله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ الكهف 36. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ الشعراء 227، فقال "منقلبا "ولم يقل" الانقلاب، فوردت صيغة المصدر الميمي " منقلب " في الآيتين لا تطابق الانقلاب في المعنى فالانقلاب حدث مجرد والمنقلب يحمل معه ذات، بالإضافة إلى أن صيغة "المنقلب" تعنى خاتمة الأمر وعاقبته، أما " الانقلاب " يعني التغيير المعاكس، فلا يحسن استعمال صيغة الانقلاب موضع المنقلب لأن السياق يستدعي ذلك [2]

ففي الآية الأولى دلت صيغة "المنقلب" على أن صاحب الجنتين إما أن يكون عالما بحقيقة الحال فيكون كلامه هذا على وجه التهكم والاستهزاء وبتالي زيادة الكفر إلى كفر، وإما أن يكون هذا ظنه في الحقيقة، فيكون من أجهل الناس فأي تلازم بين عطاء الدنيا وعطاء الآخرة حتى يعتقد بجهله أن ما حصل عليه في الدنيا سيحصل عليه في الآخرة. [3] وفي آية الشعراء فإن المنقلب بمعنى المآل الشنيع الذي يؤولون ويرجعون إليه.[4]

فكلتا الآيتين تتحدثان عن العاقبة والمصير والنهاية لا التغيير وهذا ما استدعى إلى ورود صبغة "المنقلب" بدلا من " الانقلاب "

1- انظر، المرجع السابق، ص 485

2- معاني الأبنية في العربية، ص31-32.

3 - انظر، تسير الكريم الرحمان، ص446.

4 - القرآن الكريم تفسير وبيان، ص376.

وجاء في قوله سبحانه:﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ الكهف74، وقوله:﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ الكهف71.

وردت في الآية الأولى صيغة " نكرا " وفي الآية الثانية صيغة " إمرا " فنتساءل عن سبب تغيير الصيغة في الآيتين رغم أن لهما نفس الدلالة وهي النكر، ففي الآية الثانية قال: ﴿ إمرا﴾ وهي بمعنى " أمرا عظيما منكرا أو عجبا ".[1]

فقال مجاهد منكرا وقال قتادة: عجبا [2] أما في الآية الأولى قوله ﴿ نكرا ﴾ لملائمة هذه الصيغة السياق، فهي أكثر دلالة من "إمرا" لأنها تدل على شدة النكر بحيث أن سيدنا الخضر عليه السلام اختار غلام كان يلعب في قرية من قرى مع الغلمان وكان أحسنهم وأجملهم فقتله، وروي أنه إحتز رأسه كما قيل رضخه بالحجر، فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الأول. [3] كما اشتد غضبه وأخذته الحمية الدينية حين قتل الغلام الصغير الذي لم يذنب فكانت أشد وقعا على نفسه [4]

ومن نماذج العدول كذلك نذكر قوله تعالى:﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ الكهف74.

فقد قرأ نافع وابن كثير وأبي عمر" زاكية " بالألف وقرأ الباقون " زكية " بغير ألف وصفا على فعيلة للمبالغة، فالزاكية بمعنى التي أذنبت، والزاكية التي لم تذنب قط وقيل الزاكية النامية والزكية النقية وقيل البريئة وهما لهجتان مثل سامع وسميع، فعدل باسم الفاعل" زاكية" إلى صيغة المبالغة " زكية". [5] الزكية هي صيغة دالة على صغر نفس الغلام التي لم تعمل الخبث قط ولا عملت إثما بعد فقتله بغير مستند لقتله.[6]

وفي قوله سبحانه:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ الكهف86 .

---

1 – المصحف، وبهامشه كلمات القرآن الكريم تفسير وبيان، دار علوم القرآن، دمشق، ص301.

2 – انظر، تفسير القرآن العظيم، ص104.

3 - انظر، المرجع نفسه، ص 104.

4– انظر، تيسير الكريم الرحمن، ص491.

5 – انظر، التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، هادي نهر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2008 ص105.

6 – انظر، تفسير القرآن العظيم، ص104.

فجاءت صيغة "حمئة" على وزن "فعلة" وهي صفة مشبهة ولم يقل "حامية" على وزن "فاعل" وهو اسم فاعل مثل قوله تعالى ﴿ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾الغاشية04، فناسبت صفة المشبه سياق آية الكهف فالحمئة الطين الأسود، أي رأى الشمس في مرأى العين كأنها تغرب في عين حمئة أي سوداء، وهذا هو المعتاد لمن كان بينه وبين الأفق الشمس الغربي ماء رآها تغرب في نفس الماء وإن كانت مرتفعة،[1]أما صيغة حامية على وزن اسم فاعل دلالة على شدة الحرارة بمعنى حمية تحمي فهي حامية،[2] وجاء في قوله جلّ وعلا:﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرًا ﴾ الكهف91 .

فجاءت صيغة "خبرا" على وزن "فُعلا" للمبالغة، فهي بمعنى معرفة مواطن الأمور أو علما شاملا، فقال مجاهد والسمي علما أي نحن مطاعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شيء وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض. [3]

وقال تعالى في أصحاب الكهف ﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ﴾ الكهف 10، وقال فيهم أيضا ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ الكهف 13.

فوردت صيغة "الفتية" للقلة لأن أكثر ما قيل في عددهم سبعة وثامنهم كلبهم في حين قال عز وجل:﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ يوسف 62.

فدلت صيغة "فتيان" على أنهم أكثر من عشرة، إذ لا ريب أن عمال العزيز الذين يعملون على الطعام يكونون أكثر من عشرة فاستعمل صيغة الفتية للقلة والفتيان للكثرة.[4]

وقد يؤتى بأوزان القلة والكثرة للمفارقة بين معنيين وضعا أو تخصيصا لا للدلالة على القلة أو الكثرة كعين، عيون، أعين، فقد خصّ الله تعالى الأعين "بالباصرة" والعيون بعيون "الماء" وذلك في قولـــــه تعـــالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ﴾ الكهف101.

---

1 – انظر، تيسير الكريم الرحمن، ص494–495.

2 – انظر، التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، ص106.

3 – انظر، تفسير القرآن العظيم، ص111.

4 – انظر، معاني الأبنية في العربية، ص119.

وفي قوله كذلك: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴾ الحجر45، فوردت صيغة "أعين" على وزن "أفعل" وهو من أوزان القلة وصيغة "عيون" على وزن "فعول" وهو جمع كثرة والقرآن الكريم لم يرد بالصيغتين القلة والكثرة، وإنما أورد "أعين" لدلالة على "الباصرة" وصيغة "عيون" لدلالة على عيون الماء. [1] لأن صيغة "أعين" في آية الكهف بمعنى "تغافلوا وتعاموا وتصاموا عن قبول الهدى واتباع الحق" [2] أما صيغة "عيون" بمعنى "هي الأنهار الأربعة ماء وخمر ولبن وعسل". [3]

فلهذا ناسبت صيغة "أعين" سياق الآية الأولى وصيغة عيون ناسبت سياق الآية الثانية.

1- انظر، المرجع السابق، ص 122-123.

2- تفسير القرآن الكريم، ص113.

3- الجامح لأحكام القرآن، ج 10، ص32.

خـــــــاتمة:

ليست خاتمة هذا المقام سوى وقفة استراحية قصيرة قصد استجماع القوة واستعادة النفس لانطلاقة أقوى، فقد ينتهي جهد الباحث ولا ينتهي البحث، ذلك أن فضاء الإعجاز القرآني وأوجهه المختلفة فضاء واسع لا حدود له، إذ لو أفنت الإنسانية عمرها من أجل كشف أسراره البيانية ما بلغت منه معشارا منها، ولقوة الله القاهرة فوق عباده ولعظمة بيانه القرآني ، وفي بحثنا هذا قد تناولنا جزءا يسيرا من أوجه الإعجاز القرآني ألا وهي أنماط التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، وبحثنا عن النكتة البلاغية لهذا التوظيف، إذ حصرنا بحثنا على أربعة نماذج لأنماط التوظيف البلاغي وهي الإدغام وفكه الحذف والإثبات، الإبدال وتركه والمطابقة والعدول عنه .

وأهم النقاط التي استخلصناها من هذه الأنماط البلاغية ما يلي :

1 –جواز ورود الصيغة الواحدة على وجهين، فقد ترد مدغمة في موضع كما قد ترد غير مدغمة في موضع آخر والحال مثله مع الأنماط الأخرى .

2 –كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى.

3 –الفعل للتجدد والاسم للثبات .

4 –المفردة القرآنية محكمة في معناها ومبناها ومقصدها ودقيقة في استعمالها .

5 –العدول من صيغة إلى أخرى ليس من باب التناقض أو الاختلاف وإنما قد تكون الصيغة عامة في موطن وخاصة في موطن آخر، وهذا حسب ما يقتضيه السياق والمقام.

6 –للزمان والمكان والمقصد دور في بلورة الصيغة.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، فإن أخطأنا فمنا ومن الشيطان وإن أَصبنا فمن عند الله جل في علاه .

ومسك الختام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

1 -أساس البلاغة، الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1 2003 .

2 -أساسيات علم الصرف، عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ط2، 1999.

3 -أسرار البيان في التعبير القرآني، فاضل صالح السامراني، دبي، د ط، 2002.

4 -أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، رمضان عبد الله، مكتبة بستان المعرفة الإسكندرية ط1.

5 -الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي، دار عالم الكتب العلمية، الأردن، ط 1 2008م.

6 -إعراب القراءات السبع وعللها،أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن خالوية، الهمداني النحوي الشافعي،تح:عبد الرحمن سليمان العثيميني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 ،1992.

7 -البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي، دار التراث، القاهرة، د ط، ج1.

8 -بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك القاهرة، ط2، 2006.

9 -تاج العروس من جوهر القاموس، محمد مرتضي الزبيدي، تح علي شيري،دار الفك، بيروت ط1 .

10 -التبيان في إعراب القرآن، أبي البقاء عبد الله بن الحسن العبكري شركة القدس، القاهرة، ط 1 2008.

11 -التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار المسيرة، عمان، ط1، 2008.

12 -التعبير القرآني، صالح فاضل السامرائي، دار عمان، عمان،ط4، 2006.

13 -تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار التقوى، القاهرة، د ط، 2006.

14 -التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية، هادي نهر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1 2008.

15 -تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تح: عبد الرحمن المعلا اللويحق، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2004.

16 -الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي بيروت، د ط.

17 -الجملة العربية تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، الأردن ، ط3، 2009

18 -الخصائص، ابن جني ، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، لبنان، د ط.

19 -دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العالم للملايين، بيروت، ط13، 1997.

20 -دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار اليقين، مصر، ط1، 2001

21 -دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، خالد قاسم بن دومي، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1 2006.

22 -روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني أبي الفضل شعاب الدين السيد محمود الألوسي دار إحياء التراث العربي، بيروت،د ط

23 -شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 2005

24 -شرح شافية ابن الحاجب، ركن الدين الاستراباذي، تح عبد المقصود محمد عبد المقصود المكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، ط1، 2004م.

25 -ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية، حسين عباس الرفايعية، دار جرير، الأردن، ط 1. 2006.

26 -الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري، عادل الهادي حمادي العبيدي مكتبة الثقافة الدينية ، العراق، ط1، 2005.

27 -علم الصرف بين النظرية والتطبيق، مجدي إبراهيم، نور الإيمان، القاهرة، د ط، 2007.

28 -القران الكريم،تفسير الطبري،دار الهيثم القاهرة،د ط.

29 -القران الكريم،تفسير وبيان ،جلال الدين السيوطي دار الهدى،الجزائر، د ط.

30 -الكافي في القراءات السبع، أبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000.

31 -كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 2003.

32 -الكتاب سيبويه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1982.

33 –الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل جار الله أبو قاسم محمود بن عمر الزمخشري،دار الكتاب العربي،بيروت1407،د ط.

34 –لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت ، ط1 ،1992.

35 –اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، عالم الكتب، القاهرة ط4، 2004.

36 –اللهجات العربية والقراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المسيرة، ط1، 2008.

37 –المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله ابن الأثير الجزري، تح: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، لبنان،ط1، 1998.

38 –مخطوط صيغ المبالغة وطرائقها في القران الكريم، دراسة إحصائية صرفية دلالية، كمال حسن رشيد صالح، كلية الدراسات العليا، فلسطين، د ط، 2005.

39 –المصحف، وبهامشه كلمات القرآن الكريم تفسير وبيان، دار علوم القرآن، دمشق.

40 –معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمان، الأردن، ط2، 2008.

41 –مقاييس اللغة، ابن فارس الرازي، تح، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان ط1، 1999

فهرس الموضوعات:

مقدمة

مدخل: الصيغة وأهميتها للدرس البلاغي..... 3

الفصل الأول: أنماط التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة

المبحث الأول: الإدغام وفك الإدغام 10

المبحث الثاني:الحذف والإثبات..... 17

المبحث الثالث:الإبدال وترك الإبدال 21

المبحث الرابع:المطابقة والعدول عنها..... 25

الفصل الثاني: نماذج تطبيقية لبلاغة الصيغ في سورة الكهف

المبحث الأول: الإدغام وفك الإدغام..... 33

المبحث الثاني:الحذف والإثبات..... 39

المبحث الثالث:المطابقة والعدول عنه 45

خاتمة 51

قائمة المصادر والمراجع 52

فهرس الموضوعات.